مُهذَّب كتاب

فلسفة ابن عربي وابن الفارض في حُكْم
علماءِ القرون الثلاثة الوسطى وأكثرهم متصوِّفة

ألف الأصل

العلامة برهان الدين البقاعي

٨٠٩ – ٨٨٥هـ

حققه وعلّق عليه

د. عبدالرحمن الوكيل

تهذيب
سعد الحصين، عفا الله عنه

ملحق

تحذير المسلمين من بدعة الاتّحاد

تأليف

الشيخ العلامة إبراهيم بن عمر البقاعي رحمه الله

٨٠٩ – ٨٨٥هـ

وتهذيب
سعد الحصين، عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

من مقدمة المحقق

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وبعد: فإنه كانت لي بالتصوف صلة، هي صلة العبرة بالمأساة، فهنالك حيث كان يدرج بي الصبا في مدارجه [البريئة]، وتستقبل النفس كل صروف الأقدار بالفرحة الطروب، هنالك تحت الشُفُوف الوَرْدِيَّةِ من ليالي القرية الوادعة الحالمة، وفي هيكل عبق بغيوم البخور، هنالك في مطاف هذه الذكريات الوَهْمى: كان يجلس الصبي بين شيوخ تَغَضَّنتَ منهم الجباه، وتهدَّلت الجفون، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينة راعشة، وفي أجسادهم الهضيمة نحولا ذابلا، يَتَراءَوْنَ تحت [ضوء] السراج الخافت أوهام رجاء ضَيَّعَتْهُ الخيبة، وبقايا آمالٍ عصف بها اليأس.

وتتهدج ترانيم الشيوخ تحت السحر -نواحا بينها صوت الصبي- بالتراتيل الصّوفية، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش، ومنظومة الدردير كانتا أحب التراتيل إليهم، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق بالدموع، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى: (اللهم انشلني من أوحال التوحيد) ومن الثانية: (وجُدْ لي بجمع الجمع منك تفضلا)يا للصبي الغرير التعس المسكين، ما كان يدري ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أوحاله! ولا ما جمع الجمع الذي يبتهل إلى الله أن يمنّ به عليه! [وأنّا له أن يدرك أنّ مسلماً قد يرضى ببدعة الاتحاد والوحدة والحلول الهندوسية]؟

ويشب الصبي، فيذهب إلى طنطا ليتعلم الدين. وثمت يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له ولصحابه: أن (البدوي) قطب الأقطاب، يدبّر من شئون الكون وأقداره وغيوبه الخفية! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفاً مرتعداً: وهل يدبر الأمر غير الله؟ ويهدر الشيخ غضباً، ويزمجر حنقاً، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت، وقد استشعر من سؤاله وغضب الشيخ، أنه لطَّخ لسانه بجريمة لم تُكتب لها مغفرة! ولم لا؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر، وما كان يستطيع الشاب أبدا أن يفهم أن مثل هذا الحبر الأشيب يرضى بالكفر و الضلال فصدّق الشاب شيخه، ونسي ما كان يتلو قبلُ من آيات الله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾! ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها: أن الصوفي فلانا غسلته الملائكة، وأن فلاناً كان يصلي كل أوقاته في الكعبة، في حين كان يسكن في قريته، وأن رسول الله ﷺ مد يده من القبر وسلم على الرفاعي! وأن فلانا عذبته الملائكة؛ لأنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده، لأنه أحاديث حذفت أسانيدها! ويصدق الشاب بكل هذا ويؤمن، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا.

إذ قال في نفسه: لو لم تكن هذه الكتب حقاً ما درست في المعاهد الدينية، ولا درّسها هؤلاء [المعمّمون] ولا أخرجتها المطبعة!

وتموج طنطا بالوفود، وتعج بالآمّين مولد السيّد البدوي من كل حدب، ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بِخَنَّات الأنوف، ورجَّات الأرداف، ودويّ الدفوف، وثمَّتَ يسمع منشد القوم يصيح راقصاً: (وَلِيْ صنم في الدَّير أعبد ذاته) فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات: (إِيْوَهْ كِدَه اكْفَرْ، اكْفَر يا مْرَبِّي) ويرى الشابُّ على

وجوه القوم فرحاً بما سمعوا من المنشد، فيسأل شيخاً مِمَّن وفدوا من أهل قريته عن ذلك الصنم المعبود؟ فيزم الشيخ شفتيه، ثم يجود على الشاب الواله الحيرة بقوله: (إنْتَه لِسَّهْ صْغَيَّر)! ويسكت الشاب قليلاً، ولكن الكفر يضج في النعيق، فسيمع المنشد يرتل: (سلكت طريق الدير في الأبدية)، (وما الكلب والخنزير إلا إلهنا، وما الله إلا راهب في الكنيسة) ويطوي الشاب نفسه على فزع وعجب يسائل الذهول: ما الكلب؟ ما الخنزير؟ ما الدير وما الراهب وما الكنيسة؟ وأنى للذهول بأن يجيب؟ ولقد خشي- أن يسأل أحد الشيوخ ما دام قد قيل له: (إنته لسه صغَيَّر) ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحمْآت يشربون (القرفة) ويهنئون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم البدوي!

وتُكَفِّن دورات الفلَك من عمر الشاب سنوات، فيصبح طالباً في كلية أصول الدين، فيدرس ما يوصف بأنه أوسع كتب التوحيد، فيعي منها كل شيء إلا عقيدة التوحيد في الكتاب والسنة كما فقههما الأئمة الأربعة.

وكان مما حفظه الحديث الموضوع: (كنت كنزاً مخفياً، فخلقت الخلق فَبِيْ عرفوني) وما زلت أذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا، فكان مما قاله أن المراد بـ (فبي) محمد! وكان دليله أن العدد الناتج من حروف (فبي) يساوي العدد الناتج من حروف (محمد) فكلاهما على طريقة حساب الجمل: أبجد هوز إلخ = ٩٢.

وكم صفقنا وانتشينا. ويذهب الطالب الصغير إلى قريته ويحدث الناس بهذا، فيطربون للصبي الصغير إذ جاءهم بعلم لدني رباني).

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالباً في شعبة التوحيد والفلسفة. ويدرس فيها التصوف، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته، رأيَ ابن تيمية في ابن عربي. فتسكن نفس الشاب قليلاً إلى ابن تيمية، وكان قبل يراه ضالاً مُضِلاً. فبهذا [الوصف يصفه بعض المتصوفة].

وكانت عنده لابن تيمية كتب، بيد أنه كان يرهب مطالعتها، خشية أن يرتاب في الأولياء، كما قال له بعض شيوخه من قبل! وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية... ويقرأ الشاب، ويستغرق في القراءة، ثم ينعم الله على الشاب بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل، فيقر به سراه المضنى عند جماعة أنصار السنة المحمدية، فكأنما لقي بها الواحة الندية السلسبيل بعد دَوٍّ ملتهب الهجير. لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين، فيقرأ الشاب ويتدبر ما يقرأ، وثَمَّتَ رُوَيْداً رُوَيْداً ترتفع الغشاوة عن عينيه، فيغمره النور السماوي، وعلى أشعته الهادية يرى الحقائق؛ يرى النور نوراً، والإيمان إيماناً، والحق حقاً، والضلال ضلالاً.

وهذا الكتاب: صنفه علم من أعلام القرن التاسع الهجري، هو برهان الدين البقاعي (تنبيه الغبي، إلى تكفير ابن عربي)[1]؛ نقد فيه ابن عربي وابن الفارض بخاصة، والتصوف المشاكل لدينهما بعامة. ومنهاج البقاعي في النقد يقوم على أصلين:

---

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف، فقد سميناه (مصرع التصوف) لما في العنوان الأول من تعريض بالقارئ: (تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي).
قلت: واخترت للتهذيب عنواناً أقرب للموعظة الحسنة: (فلسفة ابن عربي وابن الفارض في حكم علماء القرون الوسطى وأكثرهم متصوفة).

الأول: نقل نصوص كثيرة عن (فصوص الحِكَم) لابن عربي، وعن (التائية الكبرى) لابن الفارض، وقليلاً ما يعلق البقاعي على هذه النصوص، أو يكشف عما فيها من مجافاةٍ لنصوص الوحي والفقه؛ معتمداً على فطنة القارئ ومعرفته بدينه.

الآخر: ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون: السابع والثامن والتاسع الهجرية، ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية [مثلاً من علماء السلف]سوى النزر اليسير جداً بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره في نظر المتصوفة على معتقدهم، إذ لا يستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعي بالخصومة، فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربي وابن الفارض: إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية، و إن كانوا فيما يذهبون إليه في مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية، فجلهم من أئمة الأشاعرة. وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران في التصوف، كعلاء الدين البخاري، وهو أشد هؤلاء جميعاً حملة على ابن عربي وابن الفارض، ومن دان بدينهما.

عملي في الكتاب:

أولاً: حقّقت نص الكتاب، وهو إما نقول عن فصوص ابن عربي وتائية ابن الفارض، أو عن كتب علماء نقدوهما، وإما من إنشاء المؤلف. أما ما نقلته عن الفصوص؛ فراجعته على مطبوعة الحلبي بتحقيق الدكتور عفيفي، وجعلتها العمدة في تحقيق نصوص الفصوص، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جداً فيما نقل. بيد أنه كان يترك أحياناً ما له صلة ماسّة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربي، أو ما لا بد منه للربط بين نصوص الفصوص، وأحياناً كان يَسْقط منه -أو من الناسخ- بعض ألفاظ، وكل هذا

أثبتّه عن الفصوص، وجعلته بين قوسين هكذا [ ]، حتى يسهل على القارئ مراجعة كل ما نقله المؤلف عن الفصوص في مصدره الأصيل، أما أبيات تائية ابن الفارض، فراجعتها على مرجعين: أحدهما ديوان ابن الفارض طبع بيروت، والآخر شرح تائية ابن الفارض للكاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض المطبوع سنة ١٣١٠ هـ في المطبعة الخيرية. أما ما نقله عن العلماء فقد بذلت كل الجهد في سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها في كتب أولئك العلماء، وأشرت إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك النقول في مصادرها الأصلية، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لعياض، والمواقف للإيجي، والملل للشهرستاني وغيرها حتى يسهل أيضاً على القارئ مراجعة آراء هؤلاء العلماء في كتبهم هم. وقد يسر الله سبحانه، فوجدت بعض ما نقله البقاعي من فتاوى عن العلماء في عصره وقبل عصره مذكوراً في كتاب (العلم الشامخ) للعلامة المقبلي بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا، فراجعت بعض نقول البقاعي عن العلماء الذين لم أعثر على كتبهم في العلم الشامخ، وأثبتُّ زيادة العلم، وجعلتها بين قوسين هكذا [ ]، ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصباً كبيراً، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل مظنة، وسيكون من آثاره اطمئنان القارئ إلى كل ما نقله البقاعي عن الفصوص والتائية، وكتب العلماء، وما نقل عنهم من فتاوى.

أما ما كان من أسلوب المؤلف: فتركته على حاله، فما صوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه.

ثانيا: ترجمت لمعظم من ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة، ولقيت في سبيل هذا مشقة وجهداً، سببهما: أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كناهم، في حين تذكرهم

كتب التراجم بأسمائهم.

ثالثا: ترجمت لكل فرقة أو نحلة جاء ذكرها في الكتاب ترجمة ذكرت فيها أهم الأصول لتلك الفرقة أو هذه النحلة، معتمدا على أهم المراجع.

رابعا: حققت كل ما ورد في الكتاب من أحاديث، وخرجتها تخريجاً صحيحاً، إذ كان يخطئ المؤلف أحياناً في نسبتها إلى رواتها.

خامسا: ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفى معانيها ومراميها على بعض القراء، وكذلك بعض أبيات تائية ابن الفارض، فقد شرحت في الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات، ويشهد الله ما فهمت في الألفاظ غير معانيها التي لها في عرف الصوفية، ولا فسرتها إلا بما هو مقرر عند شراح الفصوص والتائية من الصوفية.

سادسا: برهنت في كثير من المواضع على مخالفة ما ذهب إليه [فلاسفة] الصوفية للنقل وللعقل، إذ كان المؤلف يكتفي بإيراد النصوص تاركاً للقارئ الحكم عليها، وهو حكم يجزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد.

سابعا: عنونت لمواضيع الكتاب، إذ خلا إلا من عناوين قليلة وضعها الناسخ، أو المؤلف على الهامش، ومعظمها ليست ذات دلالة على ما وُضعت له.

الأصل المطبوع عنه : يملك النسخة التي عنها نشرنا الكتاب سَرِيُّ جِدَّة الجليل، الشيخ محمد نصيف. وقد تفضل - كدأبه دائماً في العمل على نشر العلم فأعطاها فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد حامد الفقي ليعمل على نشرها، فتفضل أستاذنا ووكل إليّ أمر تحقيقها والتعليق عليها.

وصف النسخة : وقد عثر على النسخة الخطية الأصيلة لكتاب البقاعي، العلامة

شيخ العروبة في وقته أحمد زكي، عثر عليها في خزائن القسطنطينية، فنقلها بالتصوير الشمسي. ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى بالتصوير الشمسي أيضاً وأهداه إلى العالم الجليل الشيخ محمد نصيف.

وقد ورد في الصفحة الأولى من الأصل الذي نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتي:

(نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسي من خزائن القسطنطينية وأضفته إلى مجموعة كتبي التي أودعتها قبة الغوري بالقاهرة باسم الخزانة الزكية، وجعلتها وقفاً على العلماء وطلبة العلم، نفع الله بها) ثم يلي ذلك: (وكتبه أحمد زكي). وورد أيضاً في الصفحة الأولى ما يأتي: (وهذه النسخة المنقولة عنها هدية إلى خادم العلم الإسلامي والعمراني بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف، فخر جدّة أعانه الله) ثم يلي ذلك إمضاء (أحمد زكي) وتاريخ الإهداء ٥ محرم الحرام سنة ١٣٥٢ الموافق ٣٠ إبريل سنة ١٩٣٣، وقد صورت النسخة المهداة سنة ١٩٣٣م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير.

والنسخة مكتوبة بخط فارسي جميل، وناسخها (سليمان بن عبد الرحيم) وقد انتهى من نسخها -كما ذكر هو في آخر الكتاب- سنة ٩٤٧ هـ.

وقد كتب الشيخ الجليل محمد نصيف على نسخته ما يأتي: (أقول أنا محمد نصيف ابن حسين بن عمر نصيف: سألت السائح التركي ولي هاشم عند عودته من الحج في محرم سنة ١٣٥٥ عن سبب عدم وجود ما صنفه العلماء في الرد على ابن عربي، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة؟ فقال: قد سعى الأمير (عبد القادر الجزائري) بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها، ثم أحرقها بالنار، وقد ألف الأمير عبد القادر كتاباً في التصوف على طريقة ابن عربي؛ صرح فيه بما كان يلوّح به ابن عربي خوفاً من سيف الشرع

الذي صرع قبله (أبو الحسين الحلاج) وقد طبع كتابه بمصر ـ في ثلاثة مجلدات، وسماه المواقف في الوعظ والإرشاد، وطبع وقفاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

وإلى الله العلي القدير أضرع أن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

القاهرة : الجمعة ١٢ من صفر سنة ١٣٧٢هـ
٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٢م

البقاعي في سطور

ملخصة عن شذرات الذهب، والضوء اللامع

هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي المحدث المفسر العلامة المؤرخ.

ولد سنة ٨٠٩هـ، بقرية (خربة روحا) من عمل البقاع، ونشأ بها، ثم دخل دمشق وفيها جود القرآن وجدد حفظه وأفرد القراءات، واشتغل بالنحو والفقه وغيرهما من العلوم.

أخذ عن أساطين عصره، كابن ناصر الدين وابن حجر، وبرع، وتميز، وناظر [وذب عن شرع الله ما ابتدعه أصحاب الوحدة والاتحاد والحلول].

وصنف تصانيف عديدة؛ من أجلّها (المناسبات القرآنية)، و(عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران)، [وهذا الكتاب بقسميه].

وتوفي بدمشق في رجب ٨٨٥ عن ست وسبعين سنة.

[قلت: والعلاّمة البقاعي وأكثر من نقل عنهم من علماء القرن السابع والثامن والتاسع رحمهم الله في الرّدّ على ابن عربي وابن الفارض لم يسلموا من عدوى التّصوف، وبعضهم من أقطاب المتصوّفة، كما أشار المحقق د. عبدالرحمن الوكيل في مقدمته لتحقيقه هذا المؤلف، ولكنهم وجدوا في التصوف الفلسفي لابن عربي وابن الفارض ما لا يمكن هضمه وما لا يجوز السكوت عليه لمصادمته شرع الله في أعظم أسسه: الاعتقاد. والمحقق نفسه نشأ نشأة صوفية قبل أن يمن الله عليه بالهداية للتي هي أقوم: طريقة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وهي طريقة التابعين وتابعيهم ومنهم الأئمة الأربعة رحمهم الله جميعاً . المهذب].

بسم الله الرحمن الرحيم

(خطبة الكتاب)

إن الحمد لله [أحمده وأستعينه]، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تضمن [السعادة في الدنيا والآخرة] وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد. صلى الله [وسلم وبارك] عليه وعلى آله وأصحابه [ومتبعي سنته].

وبعد: فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي[1]، ولم أر من شفى القلب في ترجمته، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهرا، حتى يعلم حاله، امتثالا لما رواه مسلم عن أبي سعيد [الخدري] ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن [لم] يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم.

وفي رواية [عن عبد الله بن مسعود]: "وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل" .

(عقيدة ابن عربي)

ينبغي أن يعلم أولا أن كلام [ابن عربي] دائر على الوحدة المطلقة، وهي: أنه لا شيء سوى هذا العالم، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته، وأن كل أحد على صراط مستقيم، وأن الوعيد لا يقع منه شيء، وعلى تقدير وقوعه، فالعذاب المتوعد به

---

(١) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية، ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، ودخل بغداد، وارتحل إلى مكة، وكانت وفاته سنة ٦٣٨هـ

إنما هو عذوبة والريح راحة، ونحو ذلك! وإن حصل لأهله ألم، فهو لا ينافي السعادة والرضى، كما لم يناف السعادة والرضى بالولد ما يحصل من آلام الولادة ونحوها.

وكل ما في كلامه من غير هذا المهيع فهو تلبيس على من ينتقد عليه، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداءً بَعُد كل سامع من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم، ووقف لهم في أودية اعتقادهم، ثم استدرجهم عند المضائق، واستغواهم في أماكن الاشتباه، وهو من أصنع الناس في التلبيس، فإنه [قد] يذكر أحاديث صحاحاً، ويحرفها على أوجه غريبة، ومناح عجيبة. وخواص أهل هذه النحلة يتستّرون بتسميتها: بعلم التصوف، [لتقبل الأكثرين له] وقد حذّر النبي ﷺ من قوم: " يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، متفق عليه.

وقد أضَّل لهم ابن عربي هذا كما صرح به في الفص النوحى: أن الدعوة إلى الله مكر! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام، فقال: (ادعوا إلى الله؛ فهذا عين المكر).

وقد يستدرجهم الله ويستدرج بهم من يريد ضلاله، بإظهار شيء من الخوارق على أيديهم، كما يظهر الله على يد الدجال، ليتبين الموقن من المرتاب [ويميز الخبيث من الطيب].

مثالهم في المكر

وقد ضربوا لتصحيح [ما أحدثوا في الدين] مثالاً مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه [في فقه الشريعة ولا تعوّد الرّدَ إلى ما كان عليه النبي وأصحابه] حاصل هذا المثال: دعواهم أنهم يصِلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع، [قال ابن عربي: (علماء الرسوم

يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله إلقاءً في صدورهم) المناوي ص ٢٤٦].

وذلك المثال: (أن ملكاً أقام على بابه سيافاً، وقال له: من دخل بغير إذنك فاقتله، وقال لغيره: أذنت لك في الدخول متى شئت، فإذا دخل الغير فقد أصاب، وإن قتله السياف فقد أصاب) وعنوا [بالملك: الله وعنوا بالسياف: الرسول، فما أشنعه من مثال؛ لأن] من يعتقد أن لأحد من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة سبيل محمد ﷺ وسبيل المؤمنين من أصحابه ﷺ، فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع، فإن رسالته ﷺ عامة ودعوته شاملة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

(الاحتجاج بقصة الخضر)

[وقد يلتمسون] حجة لهم في قصة الخضر مع موسى عليه السلام ولا حجة لهم فيها[1]، للفرق بخصوص تلك الرسالة، مع أن الخبر بعلم الخضر جاء من الله تعالى إلى

---

(١) يقول ابن تيمية: (ولا حجة فيها -أي: في قصة الخضر- لوجهين:
أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل، ولهذا قال الخضر لموسى: إنك على علم من علم الله علمك الله إياه، وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت. ومحمد بن عبدالله ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل.
الثاني: أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة، بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر، ولهذا لما بيّن الخضر أسبابها لموسى عليهما السلام وافقه =
= على ذلك، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه بحال. فإن خرق السفينة مضمونه: أن المال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه، فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية، كما

موسى عليه السلام، فأين هي من دعاويهم؟ ولا شبهة عليها فضلا عن دليل، بل هي مصادمة للقواطع، ومن صادم القواطع انقطعت عنقه ولو بلغ في الزهد والعبادة أقصى الغايات، ولو وقعت منهم الخوارق، فإنها شيطانية؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[الزخرف: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٦].

[كَذِب ابن عربي على الرسول ﷺ]

وأعظم الأمر [أن ابن عربي] نسب كفره إلى إذن رسول الله ﷺ [الذي أرسله الله لمحو الشرك وما دونه من الابتداع في الدّين] فقال في الخطبة [من كتاب فصوص الحكم]: (أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في مُبَشِّرة [أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق]وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه، واخرج به إلى الناس [ينتفعون به]، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله، وأولي الأمر منا [كما أمرنا] فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، فمن الله، فاسمعوا،

جاز للراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت، وقصة الغلام مضمونها: جواز قتل الصبي الصائل، وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة).

باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل جـ٤ ص٦٧.

وأقول: على فرض أن في القصة مخالفة الباطن للظاهر. فهذا بالنسبة إلى شريعتين، شريعة الخضر وشريعة موسى، وما فعله الخضر هو الظاهر في شريعته، فلم يخالف ظاهر ما فعل باطن ما به أُمِر. فليس إذن ثمّة باطن خالف ظاهراً، أما دعوى جواز مخالفة الباطن للظاهر في الشريعة الواحدة فافتراء للكذب على الله وقول على الله بغير علم.

[وإلى الله] فارجعوا)، انتهى.

دفع ما افتراه ابن عربي على الرسول ﷺ

ولا شك أن النوم والرؤيا في حد ذاتهما في حيز الممكن، لكن ما أضَّله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالاً، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله، فإذن الكل هو الله لا غير، فلا نبي ولا رسول ولا مرسل ولا مرسل إليه، فلا خفاء في امتناع النوم على [الله] وفي امتناع افتقار [الله] إلى أن يأمره النبي بشيء في المنام، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله. نبه على ذلك [إمام التصوف في زمنه] علاء الدين البخاري في كتابه (فاضحة الملحدين، وناصحة الموحدين).

[اعتقاد ابن عربي في أسماء الله الحسنى]

قال ابن عربي في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية: (شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى [التي لا يبلغها الإحصاء] أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت: أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر [كله]، لكونه متصفاً بالوجود، ويظهر به سره إليه، فإن رؤية الشيء [نَفْسَه] بنفسه ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة) ص(٤٨) من فصوص الحكم لابن عربي.

ثم قال: (فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبّر عنه في اصطلاح القوم: بالإنسان الكبير). ص (٤٩) من الفصوص.

آدم عند ابن عربي

ثم قال: (فما جمع الله لآدم بيديه إلا تشريفاً، ولهذا قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وما هو إلا عين جمعه [الصورتين] صورة العالم وصورة الحق [وهما يدا الحق]). ص (٥٤) من الفصوص.

بم يُعَرَّف الله عند [ابن عربي]؟

يقول ابن عربي: (للحق في كل خلق ظهوراً، فهو الظاهر في كل مفهوم، وهو الباطن عن كل فهم، إلا عن فهم من قال إن العالَم صورته وهويته[1]، وهو الاسم الظاهر، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر، فهو الباطن. فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبّر للصورة، فيؤخذ في حد الإنسان مثلاً باطنه وظاهره، وكذلك كل محدود. فالحق محدود بكل حد[2]، وصُوَرُ العالم لا تنضبط، ولا يحاط بها، ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته، فلذلك يُجْهَل حَدُّ الحق، فإنه لا يُعْلم حَدُّه إلا بعلم حَدِّ كل صورة. وهذا محالٌ حصوله، فحدّ الحقِّ محال، وكذلك من شَبَّهه وما نَزَّهه فقد قيَّده وحَدّده، وما عرفه، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه، ووصفه بالوصفين على الإجمال -لأنه يستحيل ذلك على التفصيل، لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور- فقد عرفه [مُجْمَلا]، لا على التفصيل، كما عرف نفسه مجملا لا على التفصيل، ولذلك ربط

---

(١) الهوية عند الصوفية هي كما عرفها الجيلي في الإنسان الكامل ص٦٧ج١ (هوية الحق: غيبة الذي لا يمكن ظهوره، لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات).

(٢) الحد هو أكمل أنواع التعريف، ولما كان كل شيء هو الله عند ابن عربي كان حدّ كلّ شيء في الحقيقة حدّاً لله سبحانه.

النبي ﷺ معرفة الحق بمعرفة النفس، فقال: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1]. وقال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾[فصلت:٥٣] وهو ما خرج عنك ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهو عينك ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ ﴾، أي: للناظر ﴿ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: من حيث أنك صورته وهو روحك، فأنت له كالصورة الجسمية لك، وهو لك كالروح المدَبِّر لصورة جسدك[2].

[رأي ابن عربي في نوح وقومه]

لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه: فدعاهم جهاراً، ثم دعاهم إسرارا، ثم قال لهم: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[نوح: ٥، ٦] وذكر عن قومه أنهم تصاموا عن دعوته، لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته، فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن لا فرقان[3]، ومن أقيم في القرآن لا يصغي إلى الفرقان، وإن

---

(١) ليس بحديث. قال النووي: ليس بثابت، وقال ابن تيمية: موضوع.

(٢) تأمل كيف يفسر آي الله، ويضع للحق معنى الباطل، وللإيمان مدلول الكفر، [وكثير من تفسيره على هذا النحو كما سنرى].

(٣) يريد ابن عربي بالقرآن: الجمع بين الحق والخلق، أي إدراك أنهما وجهان لحقيقة واحدة سميت حقاً باعتبار باطنها، وخلقا باعتبار ظاهرها. هذه الحقيقة: هي ماهية الله سبحانه، ويريد بالفرقان: التفرقة بينهما، وفرّق نوح بين باطن الذات الإلهية ـ وهو الحق ـ وبين ظاهرها وهو الخلق. ولذا لم يستجب قومه لدعوته، إذ كانوا على بينة من الأمر، من أن الله سبحانه حق وخلق، وأنه عين كل شيء، فعبدوه في بعض ما تعين فيه، وهي الأصنام.

كان فيه. فإن القرآن يتضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ، وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يجمع الأمرين في أمر واحد، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية لفظاً أجابوه، فإنه شبّه ونزّه في آية واحدة بل [في] نصف آية. ونوح دعا قومه ﴿لَيْلًا﴾من حيث عقولهم وروحانيتهم، فإنها غيب، ﴿وَنَهَارًا﴾ دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحسهم، وما جمع في الدعوة مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فراراً، ثم قال عن نفسه: إنه دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشف لهم[1]، وفهموا ذلك منه ﷺ، لذلك: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]. وهذه كلها صور الستر التي دعاهم إليها، فأجابوا دعوته بالفعل، لا بِلَبَّيْكَ ففي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إثبات المثل ونفيه، وبهذا قال عن نفسه ﷺ: أنه أوتي جوامع الْكَلِمَ. فما دعا محمد قومه ليلاً ونهاراً، بل دعاهم ليلاً في نهار، ونهاراً في ليل[2]، فقال نوح في حكمته لقومه: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[نوح: ١١] وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر

---

(١) يريد ابن عربي أن نوحاً دعا قومه إلى مقام الستر المطلق [في الاصطلاح الصوفي]، لا إلى مقام الكشف والظهور.

(٢) يقصد بالليل باطن الذات الإلهية، وبالنهار ظاهرها. والباطن هو وجه الذات وغيبها المسمى حقاً، والظاهر هو وجهها الآخر المسمى خلقاً، ويذم نوحاً بأنه دعا قومه ليلاً ونهاراً أي: إلى الإيمان بالحق - وهو الليل- وبالخلق، وهو النهار، وبأنهما غيران، ويمجد محمداً الذي يزعم - وحاشا محمداً رسول الله ﷺ- أنه جمع في دعوته بين الدعوتين، إذ دعا قومه إلى الإيمان بأن الحق عين الخلق.

الاعتباري ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ ﴾أي: بما يميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه، رأيتم صورتكم فيه).

الدعوة إلى الله مكر عند [ابن عربي]

[ويستمر ابن عربي في ابتداع ما يهواه من معان للقرآن] فيقول: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [نوح: ٢٢] لأن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدْعُو، لأنه ماعدم البداية، فيدعى إلى الغاية ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[يوسف: ١٠٨]فهذا عين المكر. ص ٧٧٢ جـ٦ فصوص الحكم لابن عربي.(١)

ثم قال ابن عربي: مفسرا قول رب العالمين: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ : فنبه على أن الأمر له كله، فأجابوه مكراً كما دعاهم. فقالوا في مكرهم: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح: ٢٣]، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله في المحمديين: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء: ٢٣] أي حكم، فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة(٢)، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عُبِدَ غير الله في كل

---

(١) يشرح القاشاني هذا بقوله: (معناه: أن الدعوة إلى الله دعوة منه إليه، لأن الله عين الداعي والمدعو، والبداية والغاية لكونه عين كل شيء) ص ٥٨ ط ١٣٠٩ شرح القاشاني للفصوص.

(٢) يشبّه الله والخلق بالجسد وأعضائه في أن كليهما واحد في الحقيقة، كثير بالاعتبار فأنت إذا أفردت بالنظر كل عضو من أعضاء الجسم، فهو كثير، إذ ترى رأساً، ووجهاً، ويدين، =

معبود) ص ٧٢ من فصوص الحكم لابن عربي.

تكفير الحافظ العراقي لابن عربي

قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابن عربي هذا: (وقوله في قوح نوح: كلامُ ضلالٍ وشرك واتحاد وإلحاد، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جَهْلاً يفوِّت عليهم من الحق بقدر ما تركوا) انتهى.

قلت: يا ليت شعري من قال هذا القول في هذا العدد اليسير من الأصنام، ماذا يقول فيما روي في [الصحيحين] عن عبد الله بن مسعودﷺ: (أن النبي ﷺ دخل مكة،

= وقدمين، وإذا نظرت إليه جملة وجدته واحداً. وهذه الوحدة حقيقية، أما الكثرة فاعتبارية فحسب. وكذلك الله والعالم؛ فالعالم في حقيقته ليس شيئاً سوى الله، أو هو تعينات أسمائه برزت في صور مادية. كما أن أعضاء الجسم ليست شيئاً آخر غير الجسم، بل هي هو.
يستلفت النظر أن الغزالي سبق ابن عربي إلى استعمال هذا المثل في نفس ما استعمله فيه ابن عربي؛ إذ يقول، وهو بصدد بيان المرتبة الرابعة من التوحيد: (ألاّ ير ى في الوجود إلا واحدا، وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد) ثم يشرح حال الموحد في هذه المرتبة، فيقول: (والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير، بل من حيث إنه واحد، فإن قلت: كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً وهو يشاهد السماء والأرض، وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة؟) يجيب الغزالي عن هذا بمثال يقرب في زعمه ذلك إلى الذهن، فيقول: (إن الإنسان كثير إن التفتّ إلى روحه وجسده وعروقه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد، وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير). انظر باب التوحيد من كتاب الإحياء.

وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُباً[1]، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ١٨]. فما أشار بذلك العود إلى صنم منها إلا انقلب. إن أشار إلى قفاه انكب على وجهه، وإن أشار إلى وجهه انقلب على قفاه[2]، وكان في جزيرة العرب من الأصنام ما يتعسر حصره، فما أبقى لشيء منها باقية، وما استباح قتالهم، ونهب أموالهم، وقتل رجالهم، ومزق أبطالهم، وركب من دون ذلك الأهوال العظام، إلا على ذلك، فَتَبّاً لمن أنكره، أو رأى شيئاً أكمل منه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) انتهى.

كل شيء رب وإله [عند ابن عربي]

قال ابن عربي: (فالأدنى من تخيل فيه -أي: في كل معبود- الألوهية، فلولا هذا التخيل، ما عُبِد الحجر ولا غيره، ولهذا قال: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]، فلو سمّوهم لسمّوهم حجارة وشجراً وكوكباً، ولو قيل لهم: من عبدتم؟ لقالوا: إلهاً. ما كانوا يقولون: الله، ولا الإله. والأعلى ما تخيل، بل قال: هذا مجلى إلهيٍّ ينبغي تعظيمه، فلا يقتصر[3]، فالأدنى صاحب التخيل يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] والأعلى العالِم يقول: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[4] [الحج:

---

(١) في البخاري: " نصب" واحدة الأنصاب، وهو ما ينصب للعبادة من دون الله، ويراد أيضاً الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام، غير أنها ليست مرادة هنا.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ جـ٢ على هامش الروض الأنف.

(٣) أي لا يقصر عبادته على شيء ما بعينه، بل يعبد كل شيء.

(٤) ويفسرها بأن العارف المكمل هو من يقول لعباد الأوثان، والكواكب: إن ما تعبدونه هو =

٣٤]. الذين خبت نار طبيعتهم، فقالوا: إلها، ولم يقولوا طبيعة) ص ٧٢ من فصوص الحكم لابن عربي.

قلت: وعلى هذا يُحَوِّم ابن الفارض[١] بقوله؛ فالعلماء شهدوا فيه أنه من أهل الاتحاد.

الرأي في ابن الفارض وتائيته

قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير[٢] في البداية والنهاية: (إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد، ... وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها) وقال في سنة سبع وسبعين وستمائة في ترجمة محمد بن إسرائيل[٣]: (وكان أديباً، ولكن في كلامه ما يشير إلى الحلول والاتحاد على طريقة ابن الفارض، وابن عربي)[٤].وقال الشيخ مدين - وهو كان رأس الصوفية [في] زماننا ـ (إن التائية هي الفصوص، لا فرق بينهما).

= الإله الواحد، فالإله المتعين في أوثانكم عين المتعين في كواكبهم.

(١) ورد بهامش الأصل ما نصه: (ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة، وحامل لواء الشعراء، توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة عن ست وخمسين إلا أشهرا. ذكره الذهبي في تاريخه) وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦هـ ودفن بمصر.

(٢) الإمام المحدث ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٧٤، من مصنفاته البداية والنهاية في التاريخ، والتفسير، وجمع المسانيد العشرة، لازم المزي، وسمع عليه أكثر تصانيفه.

(٣) ولد نجم الدين ابن إسرائيل سنة ٥٦٣ وتوفي سنة ٦٧٧. ومن قوله:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق

(٤) لا يدين ابن الفارض بالحلول، ولا ابن عربي به أو بالاتحاد، وإنما يدينان بالوحدة، إذ الحلول يستلزم الاثنينية، والاتحاد يشعر بأنه كان ثَمَّ غَيْرانِ في وقت ما، وهما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى. ومما قرأته لابن إسرائيل تحكم بأنه على دين أهل الوحدة، لا الحلول أو الاتحاد.

وقال العلامة علاء الدين البخاري، وكان عين العلماء والصوفية: (لا فرق بين التائية والفصوص إلا بكونه نثراً وكونها نظماً).

وقال العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل ـ وهو من أعيان صوفية اليمن وفقهائهم ـ : (واعلم أن ابن الفارض من رؤوس أهل الاتحاد) واستشهد على [ذلك] بشراح التائية من أتباعه مثل سعيد الفرغاني وداود القيصري، ومحمود الأنزاوي.

شواهد من تائية ابن الفارض

وإياك والإعراض عن كل صورة
مُمَوّهَةٍ أو حالة مستحيلة
فَطَيْفُ خيال الظل يُبْدي إليك في
كَرَى اللهو ما عنه الستائرُ شُفَّت
ترى صُوَر الأشياء تُجْلى عليك مِنْ
وراء حجاب اللَّبْس في كل خلعة
تجمعت الأضداد فيها لحكمة
وأشكالها تبدو على كل هيئة
صَوَامِتُ تبدي النطق وهي سواكن
تَحَرُّكُ تهدي النور غير ضَوِيَّة

ثم ذكر أنواعاً من الأضداد في نيف وعشرين بيتاً، ثم قال:

وكـــل الـــذي شـــاهدْتَه فعـــل واحـــد

بمفـــــرده، لكـــــن بِحَجْـــــبِ الأَكِنّـــــةِ

إذا مـــــا أزال الســـــتر لم تـــــر غـــــيره

ولم يبـــــق بالأشـــــكال إشْـــــكالُ ريبـــــة

ويجمعنـــــا في المظهـــــرين تشـــــابه

وليســـــت لحـــــالي حالُـــــه بشـــــبيهة

فأشـــــكاله كانـــــت مظـــــاهر فعلـــــه

بســـــتر تلاشـــــت إذ تجـــــلى وولَّـــــت

وكانـــــت لـــــه بالفعـــــل نفســـــي شبيهـــــة

وحـــــسِّي كالأشكـــــال، واللَّـــــبْسُ ســـــترتي

[ابن عربي يمجد عبّاد الأصنام]

قال [ابن عربي] في الفص النوحي أيضاً: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[نوح: ٢٤] أي: حَيَّرُوهم في تعداد الواحد بالوجوه والنِّسَب ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ[1]﴾ لأنفسهم المصطفين الذين أورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة[2]، فقدمه على المقتصد والسابق ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ إلا

---

(١) يعني: من ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ وقد عرفهم الزنديق بأنهم: هم المصطفون.

(٢) يشير إلى الثلاثة الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[فاطر: ٣٢]. =

حيرة المحمدي (زدني فك تحيّرا [1]). ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠] فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب[2]، فلا يبرح منه. وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود، طالب ما هو فيه، صاحب خيال إليه غايته، فله (مِنْ، وإلى[3]) وما بينهما، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له، فيلزمه (مِنْ) ولا غاية له فتحكم عليه (إلى) فله الوجود الأتمّ، وهو المُؤْتَى جوامِعَ الكَلِمِ والحِكَم ﴿مِّمَّا خَطِيٰٓـَٔاتِهِمْ﴾ [4] فهي التي خطَت بهم، فغرقوا في بحار العلم بالله، وهو الحيرة ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ في عين الماء[5]، في المحمديين ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[الانفطار: ٦] سجرت التنور إذا أوقدته، ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ فكان الله عين

= [وإن الظالم لنفسه خير من المقتصد والسابق] قد سوى بين مفهوم الظلم هنا، وبين مفهوم الظلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ ليصل إلى تقرير أن عباد الأصنام من قوم نوح هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه! [متجاهلاً] أن الظلم في قوله سبحانه: ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ مقيّد، وأنه هناك مطلق. وأن الظالم لنفسه في الآية مذكور في مقام ثناء، وأن الظالمين من قوم نوح ذكروا في مقام الذم.

(١) يستشهد ابن عربي بهذا على أنه حديث نبوي. ولكن اسمع لابن تيمية يقول عنه: (لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث)ص٤٥جـ٤ مجموعة الرسائل والمسائل.

(٢) يريد به هنا: الله سبحانه.

(٣) يقول بالي أفندي في شرحه للفصوص: (أي له ابتداء ومسافة، فابتداؤه من نفسه، وانتهاؤه إلى خياله، ومسافته ما بينهما. فلا يصل إلى مطلوبه بهذا الطريق، وهو طريق العابدين من أهل الظاهر) انظر ص٨٤ من الشرح المذكور.

(٤) يقصد قوله تعالى عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٰٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] ويزعم أن خطايا قوم نوح خطت بهم إلى العلم بالله..

(٥) يفسر النار بأنها الماء.

أنصارهم[1] فهلكوا فيه إلى الأبد، فلو أخرجهم إلى السَّيْفْ [أي الشاطئ] سيف الطبيعة لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة، وإن كان الكل لله وبالله، بل هو الله، ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ﴾ما قال: إلهي. فإن الرب له الثبوت والإله يتنوع[2] بالأسماء، فهو كل يوم هو في شأن؛ فأراد بالرب ثبوت التكوين؛ إذ لا يصح إلا هو ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾يدعو عليهم أن يصيروا في بطنها المحمدي (ولو دليتم بحبل لهبط على الله[3]) ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[4] [البقرة: ٢٥٥] وإذا دُفِنت فيها [فأنت فيها]، وهي ظرفك ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] لاختلاف الوجوه من الكافرين[5] الذين استغشوا ثيابهم، وجعلوا أصابعهم في آذانهم طلباً للستر؛ لأنه دعاهم ليغفر لهم، والغفر الستر. ﴿دَيَّارًا﴾ أحداً، حتى تعم المنفعة كما عمت الدعوة ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾أي: تتركهم ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾إلى الخير، فيخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية فينظرون

---

(١) يزعم أن الله سبحانه ما نفى وجود الأنصار للوثنيين، إلا لأن الله نفسه كان هو عين أنصار أولئك الوثنيين، فما ثم غيره حتى يمكن نفي وجوده.

(٢) ابن عربي يدين بأن كل شيء هو اسم إلهي تعين في صورة ذلك الشيء.

(٣) هذا حديث منقطع، لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة، والحسن لم ير أبا هريرة وبالتالي لم يسمع منه. وقد رواه الترمذي، وقال عنه: إنه غريب. وقال الله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]. [وفي آيات كثيرة يصف الله نفسه بأنه ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٤) عقب ما ظنه حديثاً صحيحاً بالآية استشهاداً بها على صدق أسطورة الوحدة. والآية ما فيها إلا حق يهدم كفر الباطل، إذ تفيد أن السماء والأرض ملك لله وحده.

(٥) يعني: الذين دعا عليهم نوح عليه السلام.

أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً، فهم العبيد الأرباب ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ﴾ أي: ما ينتجون ولا يظهرون ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾ أي: مظهراً ما ستر ﴿كَفَّارًا﴾ أي: ستاراً ما ظهر بعد ظهوره، فيظهرون ما سُتر، ثم يسترونه بعد ظهوره، فيحار الناظر، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره، ولا الكافر في كفره، والشخص واحد ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ استرني، واستر من أجلي، فيجهل مقامي وقدري، كما جهل قدرك في قولك: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[الزمر: ٦٧] ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾من كنت نتيجة عنهما، وهما العقل والطبيعة ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾ أي: قلبي ﴿مُؤۡمِنًا﴾ أي: مصدقاً لما يكون فيه من الإخبارات الإلهية، وهو ما حدّثتْ به أنفسها ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من العقول ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾من النفوس﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية ﴿إِلَّا تَبَارٗا﴾ أي: هلاكاً، فلا يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم في المحمديين ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨] والتبار الهلاك).

الخالق عين الخلق عن [ابن عربي]

قال في فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية: (ومن أسمائه الحسنى: العليّ. على من؟ وما ثم إلا هو! فهو العليّ لذاته، أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو! فعلّوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو[1]. فهو

---

(١) وهذا صريح في الدلالة على اعتقاد ابن عربي بوحدة الوجود وقد عبر عن اعتقاده هذا بقوله: (فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها) ثم زاد الكفر توكيدا، فقال: (وليست إلا هو) هكذا =

العلي، لا علو إضافة، لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع، فوجود الكثرة في الأسماء، وهي النسب، وهي أمور عدمية، وليس إلا العين الذي هو الذات، فهو العلي لنفسه، لا بالإضافة، فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلوّ الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة، لذلك نقول فيه: هو، لا هو. أنت، لا أنت. قال الخراز[1]: وهو وجه من وجوه الحق، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه: بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثَمّ من يراه غيره[2]، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من [أسماء] المحدثات [3]).

قلت: وقال ابن الفارض:

أممـت إمـامي في الحقيقـة، فـالورى ورائي وكانت حيث وجّهت وجهتي

يراهـا أمـامي في صـلاتي نـاظري ويشـهدني قلبـي إمـام أئمتـي

= بأقوى وأوكد أسلوب من أساليب القصر. ولعل في هذا ما يكشف لك عن علة مقت فلاسفة الصوفية ومن تبعهم لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وقولهم بدلا عنها: (ليس إلا الله) أو (لا هو إلا هو) وبهذا دان الغزالي، وقرره في مشكاة الأنوار، أو (هو هو).

(١) هو أحمد بن عيسي أبو سعيد الخراز من صوفية بغداد، توفي سنة ٢٧٧هـ. وسيذكر ابن عربي صريحا أن الخراز هو الله سبحانه!

(٢) إذ كل شيء عنده هو الله، تعالى الله عما يأفك الزنادقة.

(٣) ولا غرابة في تصريح ابن عربي بهذا فهو يؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء.

ولا غَـرْو أن صـلى الأنـام إليَّ، أن ... ثـوت بفـؤادي وهـي قبلـة قبلتـي

لهـا صـلواتي بالمقـام أقيمهـا ... وأشـهد فيهـا أنهـا ليَ صـلّت

كلانـا مصـلّ سـاجدٌ إلى ... حقيقتـه بـالجمع في كـل سـجدة

وما كـان لي صـلى سـواي، ولم تكـن ... صـلاتي لغـيري في أدا كـل ركعـة

إلى كم أُواخي[1] الستر، ها قد هتكتـه ... وحلُّ أواخي[2] الحجب في عقد بيعتي

أفـاد اتخـاذي حبهـا لاتحادنـا ... نـوادر عـن عـادِ المحبـين شـذت

وفي الصـحو بعـد المحـو[3] لم أك ... وذاتي بـذاتي إذ تحلّـت تجلّـت[4]

[فوصفي إذ لم تدع باثنـين وصفها ... وهيئتهـا - إذ واحـد نحـن هيئتـي]

[فان دُعِيَتْ كنت المجيب، وإن أكن ... منـادى أجابـت مـن دعـاني ولبّـت

---

(١) جمع آخية، وهي ما يبرز ـ كالحلقة ـ من الحبل المدفون طرفاه في الأرض وتشد إليها الدابة، ويراد بها الحرمة والذمة.

(٢) من المواخاة بمعنى الملازمة.

(٣) يشرح القاشاني هذا البيت بقوله: (أي: ارتفع غيريتي في حال الصحو بعد المحو، وحينئذ زينت ذاتي بذاتي إذ تجلت، ولا ينتج تجليها السكر، لأنها لا تصادف غيرها، يعني أنها صارت هي الله، وهذا هو نهاية الاتحاد). انظر شرح القاشاني - وهو من عباد ابن الفارض- للتائية.

(٤) الصحو عن الصوفية: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه. والمحو: إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، ولا موجود عندهم إلا الحق [أي: الله]سبحانه وحده، فهو العابد باعتبار تعينه وتقيده بصور العبد التي هي شأن من شئونه الذاتية، وهو المعبود باعتبار إطلاقه. انظر التعريفات للجرجاني، وجامع الأصول في الأولياء للكمشخانلي تحت مادتي الصحو والمحو.. وابن الفارض هنا يغلو في إثبات الوحدة، فيزعم أنه هو الله، لا في حال المحو فحسب، بل في حال الصحو أيضاً. وهذا يؤكد لك أنه يعني ما يقول، فما هي مجرّد شطحات، ولكنها عقيدة ينبت عليها قلبه ودينه.

وإن نَطَقَـــــتْ كنـــــت المنـــــاجي، كـــــذاك إن

قصصـــــت حـــــديثاً، إنـــــما هـــــي قصـــــت

فقـد رُفِعَـتْ تـاء المخاطـب بيننـا وفي رفعها عن فرقة الفـرق رفعتي

فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصَفْت سكوناً عن وجـود سكينتي

فمـــن بعـــد مـــا جاهـــدت، شـــاهدت مشـــهدي

وهـــــــاديّ لي إيـــــــاي، بـــــــل فيّ قـــــــدوتي

فبـي مـوقفي، لا، بـل إليّ تـوجهي كـذاك صـلاتي لي، ومنّـي كعبتـي

الوحدة المطلقة دين ابن عربي

قال الإمام زين الدين العراقي: (وأما قوله: فهو عين ما ظهر، وعين ما بطن، فهو كلام مسموم، ظاهره: القول بالوحدة المطلقة، وأن جميع مخلوقات الله هي عينه، ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد ذلك: وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات، وكذا قوله بعد ذلك: والمتكلم واحد، وهو عين السامع، وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء).

لا يُعْتَذَر عن المبتدعة بالتأويل

ثم قال: (ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول: أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره، ولا نؤول له كلامه، ولا كرامة.

ولقد أحسن بعض من عاصرناه من [علماء المتصوفة] وهو الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي حيث سئل عن شيء من هذا. فقال: (إنما نؤول كلام من ثبتت

عصمته حتى نجمع بين [روايتين صحيحتين عنه] ، لعدم جواز الخطأ عليه، وأما من لم تثبت عصمته، فجائز عليه الخطأ والمعصية والكفر، فنؤاخذه بظاهر كلامه، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يحتمله، أو مما يخالف الظاهر، وهذا هو الحق) انتهى[1].

خطل وخطر صرف الكلام عن ظاهره

وكذا قال في عدم التأويل لغير المعصوم الشيخ نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي، وحقق هذه المسألة الشيخ أبو حامد الغزالي في أول الإحياء في كتاب العلم بما حاصله: أن الكلام إن كان ظاهراً في الكفر بالاتحاد، فَقَتْل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس، وإن كان فهمه مشكلاً فلا يحل ذكره. وقال: إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع[2]... اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، ثم قال: والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر[3]، ثم قال: وبهذا الطريق توصّل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة.

وسيأتي تأييد ذلك عن الشيخ زين الدين العراقي وولده الحافظ أبي زرعة، وحكاية ابن خليل السكوني الإجماع على ذلك.

---

(١) القونوي هو أبو الحسن نور الدين المصري الشافعي، ولد سنة ٦٧٣، وتوفي سنة ٧٢٤هـ وهو من خصوم ابن تيمية، حتى لقد وثب مرة عليه ونال منه.

(٢) لو تركنا للعقل الحرية في صرف اللفظ عن ظاهره، أي عن معناه الذي هو له لصارت الحقائق كلها نسبية أو اعتبارية، بل لما بقي حق واحد يؤمن به الفكر العام، إذ سيصبح جائزاً لكل إنسان ادعاء أن هذا اللفظ أو ذاك يجب صرفه عن ظاهره لأن عقله يحكم بذلك، ولا يمكن لامرئ ما معارضته.

(٣) هذا حق لا مرية فيه، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس في زعمه، أما في كتبه المضنون بها على غير أهلها فهو باطني يجرد اللفظ من معناه في جرأة بالغة.

صلة الخلق بالخالق [عند ابن عربي]

قال ابن عربي في الفصل الإدريسي أيضاً: (وما ظهر حكم العدد إلا بالمعدود والمعدود منه عدم ومنه وجود، فقد يعدم الشيء من حيث الحس وهو موجود من حيث العقل، فلا بد من عدد ومن معدود، ولا بد من واحد ينشئ ذلك فينشأ بسببه، فإن كل مرتبة من العدد حقيقة واحدة كالتسعة مثلاً، والعشرة [إلى أدنى، وإلى أكثر، إلى غير نهاية] ما هي مجموع، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد).

ثم قال: (ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه وإن كان قد تميز الخلق من الخالق، فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة، [لا] بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة).

الطبيعة هي الله [عند ابن عربي]

قال: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[النساء: ١] فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمر واحد في العدد، فَمَن الطبيعة؟ ومن الظاهر منها؟ وما رأيناها نقصت بما ظهر منها، ولا زادت بعدم ما ظهر! وما الذي ظهر غيرها؟ وما هي عين ما ظهر، لاختلاف الصور بالحكم عليها. فهذا بارد يابس، وهذا حار يابس، فجمع باليبس وأبان بغير ذلك، والجامع الطبيعة، [لا]، بل العين الطبيعة، فعالم الطبيعة صور في مرآة واحدة، لا، بل صورة واحدة في [مرايا] مختلفة، فما ثم إلا حيرة، لتفرق النظر، ومن عرف ما قلناه لم يحر، وإن كان في مزيد علم فليس إلا من حكم المحل، والمحل عين العين الثابتة فيها يتنوع الحق في المجلى فتتنوع الأحكام عليه، فيقبل كل حكم، وما يحكم عليه إلا عين ما

تجلى فيه، وما ثَمَّ إلا هذا ـ شعر:

فـالحق خلـق بهـذا الوجـه فـاعتبروا ... وليس خلقـا بـذاك الوجـه فـادّكِروا

مـن يـدر مـا قـال لم تخـذل بصـيرته ... ولـيس يدريـه إلا مـن لـه بصرـ

جمـع وفـرق، فـإن العـين واحـدة ... وهـي الكثـيرة لا تبقـي ولا تـذر

الاتحاد دين ابن الفارض

قلت: وهذا مراد ابن الفارض بقوله:

وجُـلْ في فنـون الاتحـاد، ولا تحـد ... إلى فئـة في غـيره العمـر أفنـت

فأنت بهذا المجد أجدر من أخي اجـ ... ـتهاد مجـدّ عـن رجـاء وخيفـة

فألغ الكنـى عنـي[1]، ولا تلـغ ألكنـا ... بها، فهـي مـن آثـار صـيغة صـنعتي

وأي بـلاد الله حلّـت بهـا، فـما ... أراهـا، وفي عينـي حَلَـت غـير مكـة

وأي مكـان ضـمها حـرم، كـذا ... أرى كـل دار أوطنـت دار هجـرة

ومـا سـكنته، فهـو بيـت مقـدّس ... بقـرّة عينـي، فيـه أحشـاي قـرت

ومسجدي الأقصى مساحب بردها ... وطيبـي ثـرى أرض عليهـا تمشـت

---

(١) لما كانت الكنى اصطلاحات وضعها الإنسان الذي هو من صنع الإله الذي تجسد في هيكل ابن الفارض بزعمه فإن هذا الإله الفارضي يأمر خلقه بإلغاء الكنى عنه، إذ لا يصح للمصنوع تعريف صانعه بكنية ما. وهدف ابن الفارض من هذا أن يؤمن الناس بما آمن به هو من اعتقاد الوحدة التامة بين الخالق والخلق، ولما كان ابن الفارض يعلم أن قول هذا ينابذ الشرع؛ فإنه ألح في البيت الذي قبل هذا في تحذير أتباعه من الإصغاء إلى الأئمة المجتهدين الذين يعبدون الله تعالى خوفاً من الله وحده، ورجاء فيه وحده.

وشكري لها، والبر مِنِّي واصل ... إليها، ونفسي ـ باتحادي استبدت

وثم أمور تم لي كشف سترها ... بصحو مفيق عن سواي تغطت

بها لم يبح من لم يبح دمه، وفي الـ ... ـإشارة معنى ما العبارة حدت

وقد جاءني مني رسول، عليه ما ... عنتُّ، عزيزٌ بي، حريص لرأفة

إليَّ رسولا كنْتُ مِنِّيَ مرسلا[1] ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلت

العبد عين الرب عند [ابن عربي]

قال ابن عربي في فص كلمه علية في كلمة إسماعيلية: (والعبد من كان عند ربه مرضياً، وما ثم إلا من هو مرضي عند ربه؛ لأنه الذي يُبْقي عليه ربوبيته، فهو عنده مرضي فهو سعيد): ثم قال؛ شعر:

فأنت عبد، وأنت رَبٌّ ... لمن له فيه أنت عبد

وأنت رب، وأنت عبد ... لمن له في الخطاب عهد

فكل عقد عليه شخص ... يحله من سواه عقد[2]

---

(١) قال القاشاني في شرحه: (فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون مُرْسِلاً، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مُرْسَلاً إليها).

(٢) البيتان الأخيران ساقطان من الأصل، وأثبتهما عن الفصوص. يقرر ابن عربي: أن الإنسان رب من حيث هويته التي هي عين هوية الله، وهو عبد باعتبار ما أطلقه عليه الشرع. ويعني بالعهد: المفهوم من قوله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ مبتغياً من وراء ذلك إثبات أن ما سمي في عرف الشرع عبدا ما هو في الحقيقة إلا رب حق يدين بربوبيته العارفون، ويشهد بحقه السالكون على بصيرة.

فرضي الله عن عبيده فهم مرضيون، ورضوا عنه فهو مرضي، فتقابلت الحضرتان[1] تقابل الأمثال، والأمثال أضداد، لأن المثلين حقيقة لا يجتمعان، إذ لا يتميزان، وما ثم إلا متميز، فما في الوجود مثل[2]، وما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشيء لا يضاد نفسه.

فلم يبق إلا الحق، لم يبق كائن ... فما ثَمَّ موصول، وما ثم بائن

بذا جاء برهان العيان، فما أرى ... بعيني إلا عينه إذ أعاين

النار عين الجنة [عند ابن عربي]

قال: [الحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات، فيثنى عليها بصدق الوعد، لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾[إبراهيم:٤٧] لم يقل: ووعيده، بل قال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾[3][الأحقاف: ١٦] مع أنه توعَّد على ذلك، فأثنى على إسماعيل عليه الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد.

فلم يَبْق إلا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحقِّ عين تُعَايِنُ

---

(١) هما حضرة الربوبية، وحضرة العبودية، ويقرر ابن عربي: أن من يغاير بينهما محجوب أعمى البصيرة، جاهل بحقيقة الله سبحانه.

(٢) وابن عربي ينفي المثلية لأنه يدين بأن الوجود حقيقة لا كثرة فيه ولا تعدد ولا تباين، فالشيء الواحد لا يقال إنه يغاير نفسه أو يضادها أو يماثلها. هذا ما يريده بنفي المثلية، وقد بناه على ما يدين به من وحدة الوجود.

(٣) يحمل ابن عربي الآية على الكفرة والمشركين، ليخلص من ذلك إلى إثبات ما يقرره وهو أن لا عذاب يوم القيامة.[لأن الله لا يخلف وعده ولكن يخلف وعيده].

وإن دخلـــوا دار الشـــقاء، فـــإنهم عـــلى لـــذة فيهـــا نعـــيمٌ مبَـــاينُ

نعـيم جنـان الخلـد[1] فـالأمر واحـد وبيـــنهما عنـــد الـــتَجَلِّي تَبَـــاينُ

يُسَـــمَّى عـــذاباً مـــن عذوبـــة لفظـــه وذاك لـــه كالقشـــر، والقشـــر صـــائن

مثل من تفسير ابن عربي للقرآن

قال في فص حكمة نورية في كلمة يوسفية - بعد أن قرر أن الشيء قد يرى في خلاف ما هو عليه لبعدٍ أو ظلام ونحوه - : (فما يُعْلَم من العالم إلا قدر ما يُعْلَم من الظلال، ويجهل من الحق على قدر ما يجهل من الشخص الذي كان عنه ذلك الظل، فلذلك نقول: إن [الحق] معلوم لنا من وجه، مجهول لنا من وجه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾[الفرقان: ٤٥] أي: يكون فيه بالقوة. يقول: ما كان الحق ليتجلى للممكنات التي ما ظهر لها عين في الوجود ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٥] وهو اسمه النور﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[الفرقان: ٤٦]. وإنما قبضه إليه لأنه ظله، فمنه ظهر وإليه يرجع الأمر كله، فهو هو لا غيره)[2].

---

(١) الجنة عند كثير من الصوفية: هي عرفان المرء نفسه، ليدرك بهذه المعرفة أنه هو الله وهذا ما يفسرون به الحديث الموضوع: (من عرف نفسه عرف ربه).

(٢) يشبه الله سبحانه والعالم بالشيء وظله [اقتباساً من الفلسفة اليونانية]، غير أن هذا التشبيه -على ما فيه- لا يصحح للزنديق دينه، بل يدمغه بالتلبيس والتضليل. فما من شك في أن الشيء وظله شيئان متمايزان، والزعم بأنهما حقيقة واحدة مكابرة وجحود بشهود الحس اليقيني. نعم يحتاج الظل في وجوده إلى من أو ما هو ظل له. بيد أن هذا الاحتياج شيء، والزعم بأنهما حقيقة واحدة شيء آخر مباين كل المباينة. وابن عربي يدين بأن العالم هو الله في الهوية والماهيـة، أما ظل =

وجود [الخالق] عين وجود الخلق [عند ابن عربي]

قال: (فكل ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل، كذلك لا يزول عنه باختلاف الصور اسم العالم، أو اسم سوى الحق، فمن حيث أحدية كونه ظلاً هو الحق؛ لأنه الواحد الأحد، ومن حيث كثرة الصور هو العالم، فتفطّن، وتحقّق ما أوضحته لك، فإذا كان الأمر على ما ذكرته لك، فالعالم مُتَوَهَّم، ما له وجود حقيقي، وهذا معنى الخيال، أي: خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه، خارج عن الحق، وليس كذلك في نفس الأمر، ألا تراه في الحس متصلاً بالشخص الذي امتد عنه يستحيل [عليه] الانفكاك عن ذلك الاتصال، لأنه يستحيل على الشيء الانفكاك عن ذاته). ص ١٠٢ فصوص الحكم.

وهذا وما شاكله من قوله -كما تقدم في الفص النوحي- مشير إلى تصحيح قول الكفار في القرآن: إنه سحر لا حقيقة له، إشارة تكاد أن تكون صريحة، وإلى مثل هذا المحال لوّح ابن الفارض، والأمر فيه أوضح مما في الفصوص:

وهـــا دحيـــة وافى الأمـــين نبَّينـــا ... بصـــورته في بـــدء وحـــي النبـــوة

أجبريـــل قـــل لي كـــان دحيـــة إذْ بـــدا ... لمُهْدِي الهـــــدى في هيئـــةٍ بشـــريـــة؟

وفي علمـــه عـــن حاضريـــه مزيـــة ... بماهِيَّـــةِ المّرْئِـــيِّ مـــن غـــير مِرْيَـــةِ

= الشيء فليس عين الشيء، غير أن الزنديق يؤمن بأن العالم ليس أثرا لله، بل هو هو في الحقيقة والوجود. فلا يثبت ما لبّس به بهذا المثال.

يـرى ملَكـا يـوحي إليـه، وغـيره يـرى رجـلا يرعـى لديـه بصـحبة
ولي مـن أتـمّ الـرؤيتين إشـارة تُنزِّه عـن دعـوى الحلـول[1] عقيـدتي
وفي الذكر ذكر اللَّبْسِ لـيس بمنكـر ولم أَعْدُ عـن حُكْمَـيْ كتـاب وسـنة

يعني قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام: ٩] هذا ما كان ظهر لي، ثم تبين أن المراد أقبح من هذا بقول شراح التائية، الفرغاني وغيره[2].

رد علاء الدين البخاري

قال الإمام علاء الدين البخاري: (ما ذكرتم في نفي ثبوت الأشياء معارَضٌ بالمِثْل؛ إذ لا خفاء أنه من أعيان الأكوان، غير أنه من الأعراض، فيكون ما ذكرتم أيضاً خيالاً وسراباً لا حقيقة له، فلا يمكن به إثبات مذهبكم الباطل، وإذ لم يبق في قوس المكابرة مَنزَع ولا لما لزمهم من شنيع المحالات والضلالات مدفع، التجأوا إلى دعوى الكشف على ما هو دأب قدماء الفلاسفة حين عجزوا عن إقامة البرهان).

زَعْم أن الرب يتلبس بصور الخلق

وقال سعيد الفرغاني ـ وهو من أكابر أتباعهم ـ في شرحه للتائية: (وتنزه [3] تلك

---

(١) لم يرض بكفر الحلاج دينا، وهو الحلول؛ لأنه يستلزم الاثنينية والمغايرة بوجه ما بين الحال وبين المحل. وابن الفارض يدين بالوحدة

(٢) قال القاشاني في شرح ذلك البيت: (ظهور الحق في بعض صور المخلوقات هو تلبسه بها، كتلبس جبريل بصورة رجل) !.

(٣) يعني بيت ابن الفارض:
ولي من أتم الرؤيتين إشـــارة تنزه عن دعوى الحلول عقيدتي

الإشارة عقيدتي عن رأي الحلول، فإنه لما جاز ووقع أن يكون لِمَلَك مخلوق قدرةُ التَّلَبُّس بأي صورة شاء بلا معنى الحلول فيه، يصح أن يتلبس الحق تعالى بصورتي بفناء أنانيتي[1] بالكلية، وإن تعلَّلْتَ بعدم جواز تلبسه[2] بالصورة، وعَلَّلْتَ بتنزيهه عن ذلك التلبس منعناك، وردَدْنا تعليلك بالكتاب والسنة).

ثم قال في شرح البيت[3] الذي فيه استشهاده بالكتاب والسنة: (وفي آي القرآن ذكر اللبس - أي: تلبس الحق بالصورة -ليس بمردود بل هو ثابت مذكور معروف موضعه من القرآن، ولم أتجاوز في تقريري حُكْمَي الكتاب والسنة؛ أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[النمل: ٨] يعني من أن يكون منحصرا ظهوره حالتئذ وقبله وبعده في ذلك التلبس، وفي غيره من الصور، وقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. وإذا جاز تلبسه بصورة الجماد[4]، فبصورة الإنسان أجمع وأولى عند فنائه عن تعينه وتشخصه. وأما السنة، فقوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: (كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجلـه[5])، وقوله أيضاً: فإن الله تعالى قال على لسان عبده: سمع الله لمن

---

(١) أي ذاته.

(٢) أي الله سبحانه.

(٣) يقصد بيت ابن الفارض:

وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ولم أعد عن حُكْمَيْ كتاب وسنة

(٤) يصف الله سبحانه وتعالى بأنه تلبس بالشجرة، أو كان هو الشجرة وهو يكلم موسى، ويَفْجُر في زعمه فيقرر أن القرآن يثبت هذا، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

(٥) يعني ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته، ولا يزال عبدي =

حمده، ثم حديث القيامة في الإتيان في الصورة[1]).

= يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يسعى.. الحديث) ويستدل [هؤلاء] بهذا الحديث على أن الله سبحانه عين خلقه، وعلى أن العبد [هو الرب]. وإليك رد ابن تيمية رحمه الله عليهم: (والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة، منها قوله: (من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة)، فأثبت معادياً محارباً، ووليا غير المعادي، وأثبت لنفسه سبحانه أنه لا هذا ولا هذا ومنها قوله: (وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه) فأثبت عبداً متقرباً إلى ربه، وربا افترض عليه فرائضه، ومنها قوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) فأثبت متقرباً ومتقرباً إليه، ومحباً ومحبوباً غيره، وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد. والحديث حق، فإن وليّ الله لكمال طاعته لله ومحبته لله يبقى إدراكه لله، وباطنه وعمله لله وبالله، فما يسمعه مما يحبه الله أحبه، وما يسمعه مما يبغضه الله أبغضه، وما يراه مما يحبه الله أحبه، وما يراه مما يبغضه الله أبغضه، ويبقى في سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، ووليّ الحق وليه، وعدوّ الحق عدوه)ص٤٨ رسالة الرد الأقوم ط السنة المحمدية.

هذا والحديث رواية البخاري عن خالد بن مخلد القطواني الكوفي أبي الهيثم. وقد تكلم فيه. قال العجلي عنه: ثقة فيه تشيع، وقال ابن سعد: منكر الحديث متشيع مفرط، وقال أحمد بن حنبل: له مناكير، وقال أبو داود: صدوق إلا أنه يتشيع وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الذهبي: (هذا حديث غريب جداً، ولولا هيبة الجامع الصحيح لعددته في منكرات خالد، وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك، وليس بالحافظ) ولو صح الحديث فإنه حجة عليهم كما رأيت.

(١) يعني ما ورد في الحديث من أن الله سبحانه يتجلى لعباده يوم القيامة، ثم يأتيهم في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا) والحديث في الصحيحين والترمذي، وتوحيد ابن خزينة، وسنن الدارمي وغيرها.

والحديث حجة تدمغهم بالبهتان. أولا: يُثْبِت الحديث أن هذا التجلي لن يكون إلا في الآخرة، أما ملاحدة الصوفية فيدينون بتلبسه بالصور في الدنيا. ثانيا: يدين ملاحدة الصوفية بأن الرب يتجلى لكل أحد بحسب اعتقاده، فالقاصر المقيد لا يعرفه إلا إذا تجلى له في صورة معتقده =

[إفك على القرآن]

قال [ابن عربي] في فص حكمة أحدية في كلمة هودية: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] (فكلُّ ماشٍ [فعلى] صراط الرب المستقيم، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه ولا ضالون، فكما كان الضَّلال عارضاً، فكذلك الغضب الإلهي عارض، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء[1].

= [الحق والباطل]، أما العارف المطلق، فإنه يعرف الله -في زعم ملاحدة الصوفية- في كل صورة يظهر بها؛ لأنه يعتقد أن الرب عين كل شيء. هذا في حين يثبت الحديث أن المؤمنين أنكروه في صورته الأولى، وعرفوه في صورته الثانية، ومن أنكروه ثم عرفوه هم أولياء الله من الرسل والأنبياء والصّالحين، وهؤلاء -باعتراف الصوفية-أكمل العارفين، وهم لم يعرفوه إلا في صورة واحدة، وهذا ينقض أصل دعواهم: أن العارف المكمل هو من يعرف الله في كل صورة، ثالثاً: يثبت الحديث وجود قوم يعرفون بعد إنكار، ووجود رب تجلى ثم تجلى. وهذا يستلزم وجود أغيار كثيرين هم غير الرب. في حين يدين ملاحدة الصوفية بأنه ما ثم غير. رابعاً: يزعم الصوفية أنه سبحانه عين كل شيء، والحديث يثبت وجود قوم مؤمنين، وكافرين، ومنافقين، فإذا أخذنا بزعم الصوفية كان ربهم هو المؤمن و الكافر والمنافق، والمنكِر والمنكَر وحسب [الملْحِدِ] شرا أن يكون عبد ربٍّ هذا شأنه، خامسا: يثبت الحديث أنه سبحانه لن يتجلى إلا في صورة واحدة في كل مرة، أما هم فيدينون بتجلي ربهم فيما لا يتناهى من الصور المتباينة في آن واحد. سادساً: لم يبين الحديث كنه الصورة الأولى، أما صورته الثانية فعرّفها بأنها هي التي رأوه فيها أول مرة. أما هم فقالوا بتجليه في صورة يغوث ويعوق، وفي صورة عجل السامري، وفي صورة نار المجوس، بل في صورة كل مخلوق.

(١) ص١٠٦ فصوص، وابن عربي يكذِّب بهذا البهتان قوله سبحانه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ٦-٧] ومثلها من الآيات. فالقرآن يقرر أن الناس ثلاثة أقسام: قوم عرفوا الحق وآمنوا به، وهم الذين وصفهم الله بأنّهم على صراط مستقيم، وقوم عرفوا الحق وأعرضوا عنه كفراً وجحوداً، وهم المغضوب عليهم، وقوم لم يحاولوا معرفة الحق فلم يهتدوا، وهم الضالون. وقد خص الله الفريق الأول برضاه ورحمته، والآخرين بغضبه ولعنته. ولكن ابن عربي يجعل الجميع سواء.

إفك على [الحديث]

قال [ابن عربي]: (اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة؛ فإن الله تعالى يقول: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها) فذكر أن هُوِيَّته[1] [هي] عين الجوارح التي هي عين العبد، فالهوية واحدة والجوارح مختلفة، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة، تختلف باختلاف الجوارح كالماء؛ حقيقة واحدة، مختلف في الطعم باختلاف البقاع).

قلت: وعلى هذا الضلال عول ابن الفارض، فقال:

وجاء حديث في اتحادي ثابت	روايته في النقل غير ضعيفة
مشيرا بحب الحق بعد تقرب	إليه بنفل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر	بكنت له سمعا كنور الظهيرة
فَكُلِّي لِكُلِّي طالب متوجه	وبعضي ـ لبعضي ـ جاذب بالأعنة
ومني بدا لي ما عَلَيَّ لبسته	وعني البوادي بي إليَّ أعيدت
وفيَّ شهدت الساجدين لمظهري	فحققت أني كنت آدم سجدتي[2]

---

(١) أي حقيقته.

(٢) قال القاشاني في شرح هذا البيت: (أي: عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهري، فعلمت حقيقة أني كنت في سجدتي آدم تلك السجدة، وأن الملائكة يسجدون لي، والملائكة صفة من صفاتي، فالساجد صفة مني يسجد لذاتي. فالجمع واقع لا يدفع).
وابن الفارض يقرر هنا [وشارحه يقرّه] أنه كان عين آدم وكان عين الملائكة، [وأنه كان] عين الذات الإلهية وعين صفاتها، هذا هو دين سلطان العاشقين[زعموا].

تعانقـــــت الأطـــــراف[1] عنـــــديَ وانطـــــوى

بســـــاط السِّـــــوى عـــــدلا بحكـــــم السَّـــــويَّة

[المجرمون عند ابن عربي على صراط مستقيم]

قال [ابن عربي] في الفص الهودي أيضاً: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [مريم: ٨٦] (وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم [بها] فهو يأخذ بنواصيهم، والريح تسوقهم ـ وهي عين الأهواء التي كانوا عليها ـ إلى جهنم وهي البعد [2] الذي كانوا يتوهمونه، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين القرب، فزال البعد، فزال مسمى جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق لأنهم مجرمون، فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنَّة، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم[3]، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة، فما مشوا بنفوسهم، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب[4] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ

---

(١) يزعم أنه ليس في الوجود متناقضات ولا أضداد ولا أغيار، بل ولا أمثال، إذ الوجود كله حقيقة واحدة.

(٢) فسر الريح بهوى النفس، وجهنم بالبعد، وهكذا يصنع في كل ما يفسر به آي القرآن، يفسرها بما لا يقره شرع ولا لغة ولا عقل.

(٣) أرأيت كيف يصف المجرمين المشركين، بأنهم سالكون سبيل الهداية الحق وصراط الله المستقيم، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بأن الله عين ما عبدوه من مخلوق.

(٤) القرب عندهم هو الفناء عن وصف العبودية والتحقق بمقام الربوبية، وترى الزنديق يزعم أن المجرمين كانوا من أعلم الناس بحقيقة الربوبية إذ تجلت لهم غيوب هوياتهم، فأدركوا وآمنوا أنها عين هوية الله. وأن وصف العبودية لهم مجازي فحسب.

وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[الواقعة: ٨٥] ص ١٠٨ فصوص).

هوية [الله عند ابن عربي] عين أعضاء العبد وقواه

قال [ابن عربي]: (فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه[1]، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى، فهو حق مشهود في خَلْق متوهَّم، فالخلق معقول، والحق [أي الله تعالى] محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود[2]، وما عدا هذين الصنفين فالحق [أي الله تعالى] عندهم معقول والخلق مشهود، فهم بمنزلة الملح الأجاج، والطائفة الأولى بمنزل الماء العذب الفرات السائغ لشاربه). ص ١٠٨ فصوص.

تفسير ابن عربي عذاب الله قوم هود

قال: (ألا ترى عاداً قوم هود كيف قالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ﴾[الأحقاف: ٢٤] فظنوا خيراً بالله تعالى - وهو عند ظن عبده به- فأضرب لهم الحق [أي الله تعالى] عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى في القرب، فإنه إذا أمطرهم، فذلك حظ الأرض، وسقي الحبِّ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك المطر إلا عن بُعْد، فقال لهم: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الأحقاف: ٢٤]؛ فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من

---

(١) زاد الآثم فجوراً، فافترى على الله أنه ليس عين الخلق جميعاً فحسب، بل هو عين كل عضو فيهم وجارحة.

(٢) غالى الزنديق فزعم أن الخلق ما هو إلا صورة ذهنية وهمية لا تحقق لها في الخارج. أما الحق - أي: الله سبحانه- فهو محسوس مشهود، إذ لا ينفك عن التعين في مادة.

الراحة، فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة والمسالك الوعرة والسدف المدلهمة، وفي هذه الريح عذاب، أي: أَمْرٌ يستعذبونه، إذا ذاقوه، إلا أنه يوجعهم لِفُرْقة المألوف) [ص١٠٩ فصوص] انتهى ما قاله مكذباً لصريح الذكر الحكيم في قوم قال فيهم أصدق القائلين سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١]. وقال: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ٧٢]. وقال: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩- ٦٠].

[تسويغ ابن عربي القول] بوحدة الأديان

قال: (فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه. فكن في نفسك هيولى [1] لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم [من] أن يحصره عقد دون عقد، فإنه يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥] ص ١١٣ فصوص الحكم).

---

(١) يريد بها هنا ما يقبل التأثير، يقول الزنديق: اجعل نفسك بحيث تتقبل كل معتقد وترضى به وتعتقد أنه حق، واحذر أن تنكر على المشرك شركه أو على المجوسي مجوسيته. واحذر أن تقيد نفسك بدين خاص وتحارب سواه، فالآلهة المعبودة في كل دين هي في حقيقتها الإله الواحد، وإن تك كواكب أو أحجاراً أو موتى.. وكل عابد لأي منها عابد لله، فما ذلك المعبود إلا عين ذات الله!! وتعالى الله عن إفك الزنادقة.

ثم قال: (فقد بان لك عن الله تعالى أنه في أَيْنِيَّةِ كلِّ[1] كله وجهة، وما ثم إلا الاعتقادات، فالكلُّ مصيبٌ، وكل مصيبٍ مأجورٌ، وكل مأجورٍ سعيد، وكل سعيدٍ مَرْضِيٌّ عنه، وإن شقي زماناً ما في الدار الآخرة، فقد مرض وتألم أهل العناية - مع علمنا بأنهم سعداء وأهل حق- في الحياة الدنيا).

(الوحدة عند ابن الفارض)

وإلى هذه الجهالة والضلالة رمز ابن الفارض في هذه الأبيات:

فلا تك مفتوناً بِحِسِّك مُعْجَباً ... بنفسك موقوفاً على لبس غرة

وفارق ضلال الفرق فالجمع مُنْتجٌ ... هُدَى فرْقَةٍ بالاتحاد تَحَدَّت

وصَرِّح بإطلاق الجمال، ولا تقل ... بتقييده مَيْلاً لزخرف زينة

فكل مليح حُسْنُه من جمالها ... مُعَارٌ له، أو حسن كل مليحةِ

بها قيسُ لُبْني هام، بل كل عاشق ... كمجنون ليلى، أو كُثَيِّر عزة

فَكُلٌّ صَبَا منهم إلى وصف لَبْسها ... لصورة حُسْنٍ لاح في حُسْنِ صورةِ

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر ... فظنوا سواها، وهي فيها تجلت

(الكثرة عين الوحدة [في فكر ابن عربي])

قال في فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية: (وصاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين

---

(١) نسبة إلى الأَين، وهو حال تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان.

واحدة، فهذه كثرة معقولة في واحد العين، فيكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة، كما أن الهيولى تؤخذ في حد كل صورة [وهي] مع كثرة الصور [واختلافها] ترجع في الحقيقة إلى جوهر واحد، هو هَيُولاها، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه، فإنه على صورة خلقه بل هو عين هويته وحقيقته) ص ١٢٤ فصوص الحكم.

العبد عين الرب [عند ابن عربي]

قال ابن عربي في فص حكمة نبوية في [كلمة] عيسوية:

(فإنّـــا أَعْبُـــدٌ حقـــا وإن الله مولانـــــــا

وإنَّـــا عينـــه، فـــاعلم إذا مـــا قلـــت: إنســـانا

فـــلا تُحْجَـــبَ بإنســـان فقـــد أعطـــاك برهانـــا

فكـــن حقـــا، وكـــن خلقـــا تكـــن بـــالله رحمانـــا) [1]

وقال في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية: (والعمل مُقَسَّمٌ على ثمانية أعضاء من الإنسان، وقد أخبر الحق تعالى أنه هُويَّةُ كل عضو منها، فلم يكن العامل غير الحق،

---

(١) ص١٤٣ فصوص. والرحمن عند الصوفية: (اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود، وبقية الكمالات على جميع الممكنات) الكمشخانلي في جامعه تحت المادة.. فهو مرادف للوجود المطلق. ويفتري الزنديق، فيزعم أن العارف يكون رحمانا – أي: وجوداً مطلقاً، أي: نفس الله سبحانه– إذا آمن أنه الحق، وأنه الخلق، إذا نظر إلى باطنه، فأيقن أنه حقيقة الحق، وإلى ظاهره فأيقن أنه مظهر خلقي لحقيقة الحق. بهذه النظرة الشاملة من العارف إلى غيبه وشهوده يكون هو الذات الإلهية الجامعة للأسماء الإلهية كلها.. هذا مراد من يجعل الصوفية اسمه تميمة، والتسبيح بحمده روحانية وابتهال وصلاة ضراعة ونسك قرابين!!!

والصورة للعبد، والهوية مدرجة فيه، أي: في اسمه لا غير؛ لأنه تعالى عين ما ظهر) . ص١٥١-١٥٢ فصوص الحكم.

ثم قال: (فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية والنسب الربانية، ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا، وأعلمنا أنه هويتنا لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا لنفسه، فما خرجت الرحمة عنه، فعلى من امتن وما ثم إلاهو؟ إلا أنه لا بُدَّ من حكم لسان التفصيل، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم، حتى يقال: إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين) ص ١٥٣ فصوص الحكم.

زعم [ابن عربي] أن التفاضل لا يستلزم التغاير

قال: (فكل جزء من العالم - أي هو - قابل لحقائق متفرقات العالم كله، فلا يقدح قولنا: إن زيداً دون عمرو في العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو، وتكون في عمرو أكمل [وأعلم منه في زيد]؛ كما تفاضلت الأسماء الإلهية وليست غير الحق، فهو تعالى - من حيث هو عالم- أعم في التعلق من حيث هو مريد وقادر، وهو هو ليس غيره، فلا تعلمه هنا يا ولي وتجهله هنا، وتثبته هنا وتنفيه هنا، إلا إن أثبتّه بالوجه الذي أثبت نفسه، ونفيته بالوجه الذي نفى نفسه، كالآية الجامعة للنفي والإثبات في حقه حين قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ فَنَفى، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾فأثبت بصفة تعم كل سامع بصير من حيوان، ومن ثم إلا حيوان، إلا أنه بَطَن في الدنيا عن إدراك بعض الناس، وظهر في الآخرة لكل الناس فإنها الدار الحيوان، وكذلك الدنيا إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما يدركونه من حقائق العالَم؛ فمن عم إدراكه كان الحق أظهر في الحكم ممن ليس له ذلك العموم، فلا تحجب بالتفاضل وتقول:

لا يصح كلام من يقول: إن الخلق هوية الحق، بعد ما أريتك التفاضل في الأسماء الإلهية التي لا تشك أنت أنها [هي] الحق، ومدلولها المسمى بها وليس إلا الله) ص ١٥٣ فصوص الحكم.

(الكافر مؤمن [عند ابن عربي])

قال: (نحن على الصراط المستقيم الذي الرب عليه لكون نواصينا في يده وتستحيل مفارقتنا إياه، فنحن معه بالتَّضْمين وهو معنا بالتصريح، فإنه قال: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم) ص ١٥٨ فصوص الحكم.

لن يُعذَّب كافر [عند ابن عربي]

قال في فص حكمة نفسية في كلمة يونسية: (وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن في النار، إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون برداً وسلاماً على من فيها، وهذا نعيمهم، فنعيم أهل النار - بعد استيفاء الحقوق - نعيم خليل الله حين ألقي في النار، فإنه عليه السلام تعذَّب برؤيتها، وبما تعود في علمه وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان، وما علم مراد الله فيها ومنها في حقه، فبعد وجود هذه الآلام وجد برداً وسلاماً مع شهود الصورة اللونية في حقه، وهي نار في عيون الناس، فالشيء الواحد يتنوع في عيون الناظرين، هكذا هو التجلي الإلهي) ص ١٦٩ فصوص الحكم.

(تمجيد [ابن عربي] لعبادة العجل)

قال ابن عربي: (وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه علم ما عَبَدَهُ أصحابُ العجل، لعلمه بأن الله قد قضى ألا نعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عَتْبُ موسى أخاه هارون؛ لما وقع [الأمر] في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء) ص ١٩٢ فصوص الحكم.

(بعض ما كفَّر به العراقي ابن عربي)

قال الشيخ زين الدين العراقي: (هذا الكلام كُفْر من قائله من وجوه:

أحدها: أنه نسب [إلى] موسى عليه السلام رضاه بعبادة قومه للعجل.

الثاني: استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣] على أنه قَدَّر[1] أن لا يُعْبَدَ إلا هو، وأن عابد الصنم عابد له.

الثالث: أن موسى عتب على أخيه هارون عليهما السلام إنكاره لما وقع، وهذا كذب على موسى عليه السلام، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم العجل.

الرابع: زعمه أن العارف يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، لجعل

---

(١) إليك ما رد به ابن تيمية على تلبيس ابن عربي: (احتج الملحدون بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾قالوا: وما قضى الله شيئاً إلا وقع، وهذا هو الإلحاد فى آيات الله وتحريف الكلم عن مواضعه والكذب على الله، فإنّ قضى هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع المسلمين بل وبإجماع العقلاء، حتى يقال: ما قدر الله شيئاً إلا وقع، وإنما هي بمعنى: أمر. وما أمر الله به، فقد يكون وقد لا يكون، فتدبر هذا التحريف.

العجل عين الإله المعبود، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التي [لا] تصدر ممن في قلبه مثال ذرة من إيمان).

ثم ساق [العراقي] من الآيات التي [تكذّب زعم ابن عربي]قوله تعالى [عن موسى]: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ ﴾[طه: ٩٢، ٩٣] وقوله: ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ ﴾[الأعراف: ١٥٠] وقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢]. وقوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٩].

(شرك ابن عربي أخبث الشرك]

ثم قال [العلامة العراقي رحمه الله]: فجاء هذا المخالف لله ولرسوله ولجميع المؤمنين، فصوَّب فعلهم وصرح بأنهم من العارفين بقوله: (إن العارف من يرى الحق [أي: الله] في كل شيء، بل يراه عين كل شيء)، ولا شك أن شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى.

(الهوى هو رب[ابن عربي])

قال ابن عربي: (وأعظم مَجْلًى عُبِد فيه [- أي الله -] وأعلاه: الهوى، كما قال:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الجاثية: ٢٣] وهو أعظم معبود، فإنه لا يُعْبَد شيء إلا بالله، ولا يُعْبَد هو إلا بذاته) ثم قال: (والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مجلى للحق يُعْبَد فيه، ولذلك سموه كلهم: إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو مَلك أو كوكب) ص ١٩٤-١٩٥ فصوص الحكم.

(وحدة الأديان عند ابن الفارض)

قلت: وإلى هذا أشار ابن الفارض بقوله:

فبي مجلس الأذكار سَمْعُ مطالع ... ولي حانة الخمار عين طليعة

وما عَقَد الزُّنَّار حكماً سوى يدي ... وإن حُلّ بالإقرار بي، فهْي حَلّت

وإن نار بالتنزيل محراب مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكل بَيْعَة

وأسفار توراة الكليم لقومه ... يناجي بها الأحبار في كل ليلة

وإن خَرّ للأحجار في الْبُدِّ عاكف ... فلا تَعْدُ بالإنكار بالعصبية

فما زاغت الأبصار في كل ملة ... وما راغت الأفكار في كل نحلة

وما احتار مَن للشمس عن غِرةٍ صبا

وإشراقُها من نور إسفار غُرَّتي

وإن عبد النارَ المجوس وما انطفت

كما جاء في الأخبار من ألف حِجّة

فـــما عبـــدوا غـــيري[1]، وإن كـــان قصـــدهم

ســـــواي وإن لم يعقـــــدوا عقـــــد نيتـــــي

(حكم ابن عربي بإيمان فرعون ونجاته)

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى عليه السلام وأنه أراد قتله وأن امرأته رضي الله عنها قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩] (فبه قرّت عينها بالكمال الذي حصل لها، كما قلنا) ثم قال: (وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخُبَثِ؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يَجُبّ ما قبله، وجعله آية على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء حتى لا ييأس أحد من رحمة الله، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون) ٢٠١ فصوص.

(رد هذه الفرية)

هذا نصه بحروفه مع العلم الضروري لكل من شَمّ رائحة العلم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس، وقد بيّن الله تعالى في آيات من كتابه العزيز بأنه لا ينفع أحدا إيمانه عند ذلك[2]، وأن ذلك سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وقوله في دعاء موسى عليه السلام: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] مع قوله

---

(١) يقرر ابن الفارض أن النّصارى واليهود وعباد الأوثان والشمس وعباد النار من المجوس كلهم لم يعبدوا غير الله، إذ كل ما ـ أو من ـ عبدوه هو الله في حقيقة الأمر، [وإن قصدوا غيره].

(٢) ورد بهامش الأصل ما يأتي: (و [من] ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[يونس: ٨٩] وقوله تعالى منكراً عليه: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] وقوله [عن فرعون وملئه]: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[يونس: ٨٣][مع قوله]: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾[غافر: ٤٣] المنتج قطعاً أن فرعون من أصحاب النار. وأما السنة فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة يوماً، فقال: « ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأُبيّ بن خلف ».

([إله ابن عربي] بين التقييد والإطلاق)

قال ابن عربي في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، [أي بحمد ذلك الشيء[1]، فالضمير الذي في [قوله]: (بحمده) يعود على الشيء، أي: بالثناء الذي يكون عليه، فإنّ المعتقِد [إنما] يثني على الإله الذي في معتَقده وربط به نفسه، وما كان من عمله فهو راجع إليه، فما أثنى إلا على نفسه، فإنه مَنْ مَدَح الصنعة فإنما مدح الصانع بلا شك، فإنّ حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها، وإله المعتقد مصنوع للناظر فيه، فهو صُنْعُه، وثناؤه على ما اعتقده ثناؤه على نفسه، ولهذا يَذُمّ معتَقَد غيره ولو أنصف لم

---

(١) معنى الآية: ما من شيء إلا ويسبح بحمد الله رب العالمين، ولكن ابن عربي يرجع الضمير في قوله: بحمده، على لفظة شيء ليتواءم هذا البهتان ومذهبه في الوحدة؛ فيكون معنى الآية عنده: ما من شيء إلا يسبح بحمد نفسه لأن الله سبحانه عنده عين كل شيء، فالمسبِّح عنده والمسبَّح له هو الله سبحانه عما يقول.

يكن له ذلك، إلا أن صاحب هذا المعبود الخاص جاهل بلا شك في ذلك لاعتراضه على غيره فيما اعتقده في الله[1]، إذ لو عرف ما قال الجنيد: لون الماء لون إنائه، لسلم لكل ذي اعتقاد ما اعتقده وعرف الله في كل صورة وكل معتقد، فهو ظانٌّ ليس بعالِم، ولذلك قال: « أنا عند ظن عبدي بي »؛ أي: لا أظهر له إلا في صورة معتقده، فإن شاء أطلق وإن شاء قَيَّد، فإله المعتقدات تأخذه الحدود، وهو الإله الذي وسعه قلب عبده، فإن الإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه والشيء لا يقال فيه: يسع نفسه، فافهم). ص ٢٢٦ فصوص.

قلت: وهذا ما أراد ابن الفارض بقوله:

فلـــــو أننـــــي وَحَّـــــدْتُ، ألحـــــدت وانسلخـــــ

تُ مِـــنَ آي جمعـــــي مُشْـــرِكـــــــاً بيَ صَـــنْعَتي

(المكفرون لابن عربي)

قد صرح بكفـر [ابن عربي] ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة الضلال جماعة من العلماء الأعلام، كما نقل عنهم شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني الحنفي في كتابه الذي صنفه في ذلك، وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين

---

(١) يحذِّر [ابن عربي] المسلم أن يذم دين وثني أو يهودي، أو نصراني، أو مجوسي، فذّم أي دين -وإن كان سداه الأسطورة ولحمته الخرافة- جهل عميق بالحقيقة، فهؤلاء جميعا دينهم واحد، ومعبودهم في الحقيقة -وإن اختلفت نسبه أو إضافاته أو أسماؤه- واحد، بل إنهم جميعاً عين واحدة، إذ كل واحد منهم أحد تعينات الذات الإلهية، ومعبوداتهم في حقيقتها الرب الواحد؛ لأنها [الله] تجلى في صور هذه المعبودات، ودينهم واحد لأن الحق المتعين في كل واحد منهم هو الذي شرع هذا الدين وارتضاه.

حسين بن الأهدل، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في: (كشف الغطا عن حقائق التوحيد).

والمنكرون على ابن عربي منهم العلامة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم السلمي الشافعي، كما نقل ذلك عنه العلامة تقي الدين محمد بن دقيق العيد، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبي في معجمه[1]: (حدثني محمد المفيد، حدثنا أبو الفتح اليعمري، سمعت أبا الفتح محمد بن علي القشيري، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجرى ذكر ابن العربي الطائي- فقال: هو شيخ سوء كذاب[2])، وقال الصلاح خليل الصفدي في تاريخه: (سمعت أبا الفتح ابن سيد الناس[3] يقول: سمعت ابن دقيق العيد يقول: سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي، فقال: هو شيخ سوء كذاب، يقول بِقِدَم العالم ولا يحرّم فرجاً، وقال شيخنا العلامة محمد[4] بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ويعرف بابن الجزري الشافعي في جواب أجاب فيه بكفره، كما حكاه عنه ابن الأهدل: ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير من لفظه غير مرة، حدثني شيخ الإسلام العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي[5]، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة تقي

---

(١) ذكر هذا في ميزان الاعتدال.

(٢) في الميزان: شيعي سوء كذاب.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمـــد بن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين الحافظ الأديب. ولد سنة ٦٧١هـ وتوفي سنة ٧٣٤هـ.

(٤) ولد الجزري بدمشق سنة ٧٥١هـ وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

(٥) ولد سنة ٦٨٣هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ. ولي قضاء دمشق والخطابة بالجامع الأموي، وكان من خصوم ابن تيمية، غير أنه عاد فأثنى عليه ثناء مستطاباً.

الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد[1]، قال: سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي عن ابن عربي، فقال: شيخ سوء كذاب، يقول بِقِدَم العالم ولا يحرّم فرجاً) انتهى. وقال ابن تيمية[2] في جواب السيف السعودي: (فكفّره الفقيه أبو محمد بذلك، ولم يكن بَعْدُ ظَهَرَ من قوله: إن العالَم هو الله، والعالم صورة الله وهوية الله) قال السيف المذكور: ثم تابعه في الإنكار الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني، وحذر الناس من تصديقه، وبيّن في مصنفاته فساد قاعدته وضلال طريقه في كتاب سماه: الارتباط. ومنهم قاضي القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال: (وحاشا رسول الله ﷺ أن يأذن في المنام فيما يخالف أو يضاد قواعد الإسلام[3]، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته، وتلاعبه برأيه وفتنته، وأما إنكاره - يعني ابن عربي- ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد، فهو كافر به عند

---

(١) ولد بناحية ينبع سنة ٦٢٥هـ وتوفي سنة ٧٠٢هـ يقول عنه الذهبي: كان إماماً متقناً مجوداً مديم السنن والجمع وله اليد الطولى في الفروع والأصول.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي علم الأعلام الإمام. يقول عنه خصمه تقي الدين السبكّي - وقد عاتبه الحافظ الذهبي على ما نال به من قدر ابن تيمية: المملوك (يعني نفسه) يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية (يعني بكل هذا ابن تيمية) وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجّل، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان) انتهى نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر. ولد ابن تيمية سنة ٦٦١هـ، ومات سجين البغي بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ.

(٣) رد على ما زعمه ابن عربي في خطبة الفصوص أنه رأى الرسول ﷺ في النوم، وأنه قال له: هذا كتاب الفصوص خذه وأخرجه به إلى الناس ينتفعون به، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للتائية الكبرى.

علماء التوحيد، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قول لغو باطل مردود)[1]، والشيخ عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي[2]، قال: إنه علق في ذم هذه الطائفة[3] ثلاث كراريس، الأول سماه: البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد، الثاني: لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد، والثالث: أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص؛ كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة، يحذرون من طرقهم وزندقتهم).

فتوى ابن الجزري [والجعبري والكتّاني]

ومنهم العلامة شمس الدين محمد بن يوسف ابن الجزري[4] جد شيخنا العلامة شمس الدين، قال[5]: (وحُكْمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر، وقوله: إن الحق المنزه هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض، وهو كفر، وقوله في قوم هود: (وحصلوا في عين القُرْب) افتراء على الله تعالى ورَدٌّ لقوله فيهم، وقوله: (زال البعد وصيرورة جهنم في حقهم نعيماً) كَذِب وتكذيب للشرائع، وأما من يصدقه فيما قال، فحكمه كحكمه في التضليل والتكفير إن كان عالماً، وإن كان ممن لا علم له؛ فإن قال ذلك جهلاً عُرّف بحقيقة ذلك، ويجب تعليمه وردعه عنه مهما أمكن) ومنهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبري[6]، ومنهم العلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكتّاني[7] الشافعي.

---

(١) انظر نص هذه الفتوى في العلم الشامخ للمقبلي ص٤٩٤.
(٢) ولد سنة ٦٥٧هـ وتوفي سنة ٧١١هـ.
(٣) طائفة ابن عربي ومن دان دينه.
(٤) توفى بعد ٦٦٠، قاله الزّركلي في الأعلام (المهذِّب).
(٥) انظر نص فتواه في العلم الشامخ، ص ٤٩٥.
(٦) توفي في سنة ٦٨٧هـ عن ثمانين سنة.
(٧) كان شيخ الشافعية في عصره، ولد سنة ٦٥٣هـ وتوفي سنة ٧٣٨هـ. وانظر نص فتواه في العلم

ومن جوابه: (وقوله في قوم هود كفرٌ، لأن الله تعالى أخبر في القرآن العظيم عن عاد: أنهم كفروا ربهم، والكفار ليسوا على صراط مستقيم، فالقول بأنهم كانوا عليه مكذِّب لصريح القرآن، ويأثم من سمعه ولم ينكره إذا كان مكلّفاً، وإن رضي به كَفَر).

رأي أبي حيان

والعلامة أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي[1]. ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] : (ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقرّ[2] بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلاج والشعوذي وابن أحلى، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين -وعدّ جماعة[3] - ثم قال: (وإنما سردت هؤلاء نصحاً لدين الله ـ يعلم الله

الشامخ ص ٤٩٦.

(١) ولد سنة ٦٥٤هـ. قال عنه الذهبي: (حجة العرب وعالم الديار المصرية)كان من خلصاء ابن تيمية، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها.

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذ عصت مضر

وفي مناظرة بينهما خطّأ ابن تيمية سيبويه، فلم يطقها منه أبو حيان، فكان أن بهته أبو حيّان في تفسيره البحر..

(٢) في البحر: تستر.

(٣) هم كما جاء في البحر: (التستري تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية، والصفار المقتول بغرناطة، وابن اللباج، وأبو الحسن المقيم بلورقة، وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون: =

= العفيف التلمساني وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي المقيم، بدمشق، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم بصعيد مصر، والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد

ذلك ـ وشفقة على ضعفاء المسلمين، وليُحْذروا، فَهُمْ شرٌّ من الفلاسفة الذين يكذِّبون الله ورسله ويقولون بِقِدَم العالم وينكرون البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله)[1].

رأي التقي السبكي والفاسي والزواوي

والعلامة قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، فقال: (ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره، فهم ضُلاَّلٌ جُهَّال خارجون عن طريقة الإسلام فضلا عن العلماء) قال ذلك في باب الوصية من شرح المنهاج، ونقله الكمال الدميري والتقي الحصني، وقال الحافظ تقي الدين الفاسي في كتابه فيه: (وقد أحرقت كتب ابن عربي غير مرة). وممن صنع ذلك من العلماء المعتبرين: الشيخ بهاء الدين السبكي، والعلامة القاضي شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي[2] المالكي شارح صحيح مسلم، فقال: (وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال وتحريف وتبديل، فمن صدق بذلك أو اعتقد صحته كان كافراً ملحداً، صادًّا عن سبيل الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ ملحداً في آيات الله، مُبَدِّلا لكلماته،

السعداء بالقاهرة من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم بحارة زويلة) انتهى نقلا عن تفسير البحر لأبي حيان. وزاد في تفسيره النهر: (والشريف عبد العزيز المنوفي، وتلميذه عبد الغفار القوصي).

(١) ورد بعد هذه في البحر: (وأولياؤه، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين).

(٢) ولد سنة ٦٦٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٣هـ انتهت إليه رياسة الفتوى في المذهب المالكي بمصر والشام، وقد شرح صحيح مسلم في اثنى عشر مجلداً وسماه: إكمال الإكمال.

فإن أظهر ذلك وناظر عليه، كان كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل، وإن أخفى ذلك وأَسَرَّه كان زنديقاً، فيقتل متى ظهر عليه، ولا تقبل توبته إن تاب لأن توبته لا تعرف، فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن، فعلم بالظهور عليه خبث باطنه، وهؤلاء قوم يسمون الباطنية، لم يزالوا من قديم الزمان ضُلّالا في الأمة، معروفين بالخروج من الملة، يُقْتلون متى ظهر عليهم أوينفون من الأرض، وعادتهم التَّمَصْلح والتدين وادعاء التحقيق، وهم على أسوأ طريق [فالحذر كل الحذر منهم فإنهم أعداء الله وشرٌّ من اليهود والنصارى؛ لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه ولا رب يعبدونه، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهي أمره إلى ولاة المسلمين ليحكموا فيه بحكم الله تعالى، ويجب على من وَلِيَ الأمر إذا سمع بهذا التصنيف البحث عنه، وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها، وأدب من أُتّهِم بهذا المذهب أو نسب إليه أو عرف به، على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه).

رأي البكري

ومنهم الشيخ نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي، قال: (وأما تصنيفٌ تذكر فيه هذه الأقوال، ويكون المراد بها ظاهرها، فصاحبها ألعن وأقبح من أن يُتَأَوَّل له ذلك، بل هو كاذب فاجر، كافر في القول والاعتقاد ظاهراً وباطناً، وإن كان قائلها لم يرد ظاهرها، فهو كافر بقوله، ضال بجهله، ولا يعذر في تأويله لتلك [الألفاظ] إلا أن يكون جاهلاً بالأحكام جهلاً تامّاً عامّاً، ولا يُعْذَر في جهله لعدم مراجعة العلماء والتصانيف على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل ومتبعيهم، أعني معرفة الأدب في التعبيرات، على أن في هذه الألفاظ ما يتعذر أو يتعسر تأويله، بل كلها كذلك، وبتقدير

التأويل على وجه يصح في المراد فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه. وأما دلائل ذلك فهي مذكورة في تصانيف العلماء، وفيما ألفته أيضاً في بعض المسائل، وليست هذه الورقة مما تسع الكلام على أقوال هذا المصنَّف[1] لفظة لفظة).

فتوى البالسي وابن النقاش

ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالسي[2] الشافعي، فقال: (من صدّق هذه المقالة الباطلة أو رضيها، كان كافراً بالله تعالى يراق دمه، ولا تنفعه التوبة ـ عند مالك وبعض أصحاب الشافعي ـ ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعَيَّن عليه إنكارها بلسانه، بل يجب عليه منع قائلها بالضرب إن لم ينزجر باللسان، فإن عجز عن الإنكار بلسانه أو بيده، وجب عليه إنكار ذلك بقلبه، وذلك أضعف الإيمان). ومنهم العلامة أبو أمامة محمد بن علي بن النقاش[3] المصري الشافعي في تفسيره، وأجاد جداً في تقرير مذهبهم وبيان عواره، فقال: (وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل، نزرة العلم، اشتغلوا بهذه الحروف وجعلوا لها دلالات واشتقوا منها ألفاظاً، واستدلوا منها على مُدَدٍ وسموا أنفسهم بعلماء الحروف[4]،

---

(١) يقصد فصوص الحكم لابن عربي.

(٢) ولد سنة ٦٦٠هـ. ولي قضاء بلبيس، ولازم ابن دقيق العيد. وتوفي سنة ٧٢٩هـ.

(٣) ولد سنة ٧٢٠هـ. وتوفي سنة ٧٦٣هـ.

(٤) يقول ابن خلدون في مقدمته ص٤٤٠ عن علم الحروف: (حدث هذا العلم في الملة عند ظهور الغلاة من المتصوفة، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب. وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام، تعدَّدَتْ فيه =
= تآليف البوني وابن عربي وغيرهما) ويعرِّف طاش كبرى زادة هذا العلم في مفتاح السعادة ص٤١٨ جـ٢ ط الهند: (هو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد، أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوابل حسب ما يراد

ثم جاءهم شيخ وقح يقال له: البوني، ألف فيها مؤلفات وأتى فيها بطامات، ومن الحروف دخلوا للباطن وأن للقرآن باطناً غير ظاهر، بل وللشرائع باطناً غير ظاهرها، ومن ذلك تدرّجوا إلى وحدة الوجود، وهو مذهب الملحدين كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد بل يقولون بالوحدة؛ لأن الاتحاد يكون افتعالا بين شيئين، وهم يقولون: الوجود واحد لا تعدد فيه، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات مشتركة في مُسَمَّى الوجود، ولكن ليس وجودُ هذا وجودَ هذا.

والقدر المشترك هو كُلِّيٌّ، والكلّي المطلَق لا يوجَد كلّياً مطلقاً إلا في الأذهان لا في الأعيان، بل كل موجود من المخلوقات له وصف يختص به لا يشاركه فيه غيره في الخارج، وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة)، ثم قال: (وهم متألهون للخيال معظمون له، ولا سيما ابن عربي منهم، ويسميه: أرض الحقيقة، ولهذا يقولون بجواز الجمع بين النقيضين[1]، وهو من الخيال الباطل.

ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها) وانظر ص٦٨ من كتاب نقض المنطق لابن تيمية.

(١) قولهم بهذا راجع إلى إيمانهم بوحدة الوجود، حتى زعموا أن ذات الإله: جامعة بين النقيضين وبين الضدين، وأن هذا الجمع أول مقوماتها وأبين خصائصها، قال الجيلي في كتابه الإنسان الكامل ص٦٩جـ١: (الألوهية في نفسها تقتضي شمول النقيضين وجمع الضدين بحكم الأحدية) هذا لإيمانهم بأنه سبحانه عين كل شيء وكل معلوم، [تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيرا].

رأي ابن هشام وابن خلدون

ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام[1] صاحب المغني وغيره من المصنفات البديعة، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص:

(هذا كتاب فصوص الظُّلَم ونقِيض الحِكَم وضلال الأُمَم، كتاب يعجز الذم عن وصفه، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً؛ لأنه مخالف لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه وفطر عليه خليقته) انتهى.

وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون[2]: (إن طريق المتصوفة منحصر في طريقين، الأولى: وهي طريقة السنة، طريقة [السّلف] الجارية على الكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين[3] ـ والطريقة الثانية: وهي مشوبة بالبدع، وهي طريقة قوم من المتأخرين يجعلون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها، ومن هؤلاء المتوصفة ابن عربي وابن سبعين، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم[4]، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح الكفر ومستهجن البدع، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة، أو عدّها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة، ولو بلغ المثني ما عسى أن يبلغ من الفضل؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلا، أو شهادة من كل أحد.

---

(١) ولد سنة ٧٠٨هـ وتوفي سنة ٧٦١هـ.

(٢) ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ تولى قضاء المالكية بمصر.

(٣) ما كان من الصحابة ولا من التابعين صوفي، ولم يسمّ واحد منهم بهذا الاسم قطّ.

(٤) في الأصل بتخلقهم، والتصويب من العلم الشامخ.

وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي والبدّ لابن سبعين[1] وخلع النعلين لابن قسي [وعين اليقين لابن برجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني، وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض[2]] فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار، أوالغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب؛ لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق).

رأي الشمس العيزري

ومنهم العلامة شمس الدين محمد العيزري الشافعي في كتاب سماه: الفتاوى المنتشرة. قال عن الفصوص: (قال العلماء: جميع ما فيه كفر؛ لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد[3]، وهو من غلاة الصوفية المحذَّر من طرائقهم، وهم شعبان[4]: شعب حلولية يعتقون حلول الخالق في المخلوق، وشعب اتحادية لا يعتقدون تعدداً في الوجود في زعمهم أن العالم هو الله، وكل فريق منهم يكفّر الآخر، وأهل الحق يكّفُرون الفريقين. ثم قال. ومنهم ابن

---

(١) ابن سبعين من القائلين بالوحدة المطلقة، ولد بمرسيا سنة ٦١٣هـ. وهلك سنة ٦٦٧هـ بمكة.

(٢) ما بين هذين [ ] لم يرد في الأصل، وأثبته عن ص ٥٠٠ من العلم الشامخ إذ أورد فيه مؤلفه المقبلي نص فتوى ابن خلدون.

(٣) صوابها: الوحدة. فهذا هو دين ابن عربي.

(٤) الحق أنهم ثلاثة: حلوليون، واتحاديون، وأهل الوحدة، ولعل العيرزي يستعمل الاتحاد في الدلالة على الوحدة أيضاً.

الفارض صاحب الديوان -وعدّ جماعة معه- ثم قال: ذَكَر هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبي عمرو بن الصلاح، وابن دقيق العيد، وشيخ الفقهاء الزين الكتنائي، وقاضي القضاة الشيخ تقي الدين السبكي، وحكم بتكفيرهم القضاة الأربعة: البدر بن جماعة، والزين الحنفي، والشرف الزواوي، والسعد الحنبلي[1] - ثم ذكر كلام الشيخ أبي حيان فيهم من تفسيره البحر[2] إلى أن قال: ـ وقد انتدب بعض المغالطين من أهل العلم ممن يُحْسِنُ الظن ببعضهم، ولا صواب معه، وصنَّف تأويلات لنظم السلوك[3] وتعسف بما لا يصح الأخذ به لقوة ظواهر الألفاظ الخارقة جزماً لسياج عصمة الديانة، وانتهاك حرمة الربوبية- ثم قال:- ويُحَوِّم[4] بظاهر كلامه على أنه هو الله وأن الله هو، وهذا بهتان قبيح وكفر صريح - ثم قال:- وكان ابن الفارض يقول: إنما قُتِل الحلاج لأنه باح بسره، إذ شرط هذا التوحيد الكَتْمُ)[5].

---

(١) تقدم ذكر بعض هذه الفتاوى، وقد أوردها صاحب العلم الشامخ فطالعها فيه من ص ٤٩٥ وما بعدها.

(٢) سبق ذكر قول أبي حيان.

(٣) هي التائية الكبرى لابن الفارض.

(٤) لا، بل يسف إسفافاً، ويصرح بهذا غير موار ولا موارب.

(٥) يعني توحيدهم القائم على أساس اعتقاد أن الحق عين الخلق، ويجبن بعض الصوفية عن التصريح المبين بهذا مخافة القتل، ولذا يقول الغزالي عن هذه المرتبة محذراً لإخوانه الصوفية: إنها سر الربوبية، وإفشاء سر الربوبية كفر، ويقول السهروردي المقتول:

بالسر أن باحوا تباح دماؤهم ..... وكذا دماء العاشقين تباح

رأي لسان الدين بن الخطيب والموصلي

ومنهم العلامة لسان الدين محب بن الخطيب الأندلسي المالكي[1] في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف وأجاد في تقرير مذهبهم [الباطل] فقال: (الفرع الخامس في رأي أهل الوحدة المطلقة ... وحاصله: أن الباري - جل وعلا - هو مجموع ما ظهر وما بطن، وأنه لا شيء خلاف ذلك، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنِيَّة الجامعة التي هي عين كل آنيّة، والهويّة التي هي عين كل هوية[2] إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان والخلاف والغيبة والظهور والألم واللذة والوجود والعدم. قالوا: وهذه إذا حُقِّقت إنما هي أوهام راجعة إلى أخبار الضمير، وليس في الخارج شيء منها، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحداً، وذلك الواحد هو الحق، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل، فإذا سقط الباطل - وهو اللازم بالأوهام - لم يبق إلا الحق وصرحت بذلك أقوال شيوخهم، فمنه قول ابن أحلى: حقٌّ أقام باطلاً ببعض صفاته، وقال الحلاج وابن العربي: وقد تعرض لما به وقع التعدد، وأنه وهم، فالكل واحد وإن كان متفرقاً. فسبحان من هو الكل ولا شيء سواه، الواحد بنفسه المتعدد بنفسه).

ومنهم الحافظ الرحلة شمس الدين أبو عبد الله محمد الموصلي الشافعي، نزيل دار الحديث بدمشق. فقال: (وفي كلام ابن عربي من الكفر الصريح الذي لا يمكن تأويله

---

(١) هو ذو الوزارتين مضرب المثل في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم، ولد سنة ٧١٣هـ بغرناطة، وتوفي سنة ٧٦٦هـ.

(٢) يعني: أنهم يدينون بأن الله سبحانه عين كل ما بطن وعين كل ما ظهر. فالآنيّة عندهم هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية، وتدل مواردها على أنها تستعمل في مقابل الماهية: أي المرادفة لمجرد الوجود، وقد سبق تعريف الهوية.

شيء كثير يضيق هذا الوقت من وصفه، ومنه تفسير اسمه: العَلِيّ بأن قال: العَلِيُّ على من؟ وما ثَمَّ إلا هو[1]!وهو المسمى أبا سعيد [الخراز]).

رأي ابن حجر والبلقيني وغيرهما

ومنهم شيخنا حافظ عصره قاضي القضاة أبو الفضل بن حجر، وشيخه سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني[2]، فقال في ترجمة عمر بن الفارض في لسان الميزان بعد أن ذكر ترجمة الذهبي له بأنه شيخ الاتحادية وأنه ينعق بالاتحاد الصريح في شعره: (وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين البلقيني عن ابن العربي، فبادر بالجواب بأنه كافر، فسألته عن ابن الفارض، فقال: لا أحب التكلم فيه، فقلت: فما الفرق بينهما، والمهْيَع واحد؟ وأنشدته من التائية، فقطع عليّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله: هذا كفر، هذا كفر).

رأي الفاسي والورغمي والجزري والأهدل

وعن الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي في كتابه: تحذير النبيه والغبي من الافتتان بابن عربي، أنه قال: وقد سئل [عن ابن عربي] وعن شيء من كلامه شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي عالم إفريقية، فقال ما معناه: (إن من نُسِب إليه هذا الكلام لا يشك مسلم منصف في فسقه وضلاله وزندقته) انتهى.

ومنهم شيخنا العلامة إمام القراء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري[3] الدمشقي نزيل بلاد الروم ثم العجم، قال: (ومما يجب عل ملوك

---

(١) في الأصل: العلا علا عن من، وليس ثم غيره؟ والتصويب من الفصوص.

(٢) ولد سنة ٨٠٥هـ، ولي إفتاء دار العدل وقضاء دمشق، ثم عاد إلى القاهرة توفي سنة ٨٠٥هـ.

(٣) ولد سنة ٧٥١هـ وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

الإسلام، ومن قدر على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر] أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهَّر من كتب المذكور[1] وغيره، ولا يتلفت إلى قول من قال: هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يؤول، فإنه[2] غلطٌ من قائله. إنما يؤول كلام المعصوم، ولو فُتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر، لم يكن في الأرض كافر).

ومنهم العلامة نادرة زمانة علماً وعملاً بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل[3] اليمني الحسيني نسباً وبلداً، وصنّف في ابن عربي وابن الفارض كتاباً نافعاً جداً [4]، وذكر فيه أنه كان في اليمن شخص من أكابر أتباعه، يقال له الكرماني، حصلت به في اليمن فتن كبيرة، وحصل بينه وبين ابن المقري خطوب) انتهى.

من مكر الصوفية

من مكر هذه الطائفة، كما شرعه لهم شيخهم[5] من أن الدعوة إلى الله مكر: أن يُخَيِّلوا [6] كلَّ من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب في نفسه أو ماله[7]، ويقولون: ما تكلّم أحد

---

(١) يعني: ابن عربي، واقرأ نص فتوى الجزري في ص٤٩٥ من العلم الشامخ للعلامة المقبلي.

(٢) أي: القول بالتأويل لكلام الصوفية.

(٣) ولد سنة ٧٧٩هـ تقريبا، وتوفي سنة ٨٥٥هـ. وهو من كبار علماء اليمن في عصره.

(٤) سماه: كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين، وله كتاب آخر سماه: بيان حكم الشلح والنص على مروق ابن عربي وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين. انظر الضوء اللامع للسخاوي.

(٥) يعني: ابن عربي.

(٦) صوابها: إلى كل، أو لكل. ففي الذكر ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[طه: ٦٦].

(٧) كاد لي لئيم فضيَّع لي ما يسمى: (مسوغات التعيين في وزارة المعارف) فتنادى بعض الصوفية: يا للكرامة، وبالانتقام أوليائنا الرهيب!! فقلت: يا سبحان الله! لا يتورع القوم حتى من اتهام أوليائهم أنهم لصوص بغاة، يحاربون الناس في أرزاقهم!!

فيهم إلا أصيب، ويباهتون بأشياء هي كذب ظاهر. وأكثر الناس صبيان العقول مَرْضى الأفكار، تجد أحدهم إذا سمع هذا نَفَرَ منك نفرة النعام الشارد، ثم يكون أحسنهم خلالا الذي يقول: التسليم أسلم! ولا يتأمل أن الشك في الكفر بعد البيان كفرٌ، وهو أحسن الأحوال تَشَبهٌ باليهود في قولهم في الإسلام لما مات أبو أمامة أسعد ابن زرارة[1] الأنصاري ﷺ فإنهم شرعوا يقولون تخييلاً لبعض الضعفاء: لو كان نبياً ما مات صاحبه. فكان النبي ﷺ [يقول]: « بئس الميت أبو أمامة ليهود!! يقولون: كذا، ووالله ما أملك لنفسي ولا لصاحبي شيئاً[2] » وتَسَنُّنٌ [3] بالكَفَرة في قولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[هود: ٢٧]، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾[مريم: ٧٣-٧٥] ونحو ذلك من الآيات، ومتى مال الإنسان نحو تخييلهم، كان كمن قال الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج: ١١].

---

(١) من أول الأنصار إسلاماً، ويقال: إنه أول من بايع ليلة العقبة، وكان نقيب قبيلته بني النجار، وأول من صلى الجمعة بالمدينة في هزمة من حرة بني بياض، يقال له: نقيع الخضمات، وكانوا أربعين رجلا. مات أسعد ﷺ -والمسجد يبنى- في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر (أسد الغابة، والإصابة).

(٢) هذا لفظه في سيرة ابن هشام. أما في أسد الغابة (بئس الميتة ليهود!! يقولون: أفلا دفع عن صاحبه؟ وما أملك له، ولا لنفسي شيئاً).

(٣) معطوفة على قوله قبل: تشبه باليهود.

من آيات ثبات الإيمان في القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام في القلب المصائب[1] قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١- ٢] ، وقال الله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾ [البقرة: ٢١]. إلى غير ذلك من آيات الكتاب الناطق بالصواب. وقال ﷺ: ((من يُرِد الله به خيراً يُصِبْ منه))[2]، ((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه)) إلى أمثال ذلك، وهو كثير جداً، من ذلك أن البيعة على الإسلام كانت -ليلة العقبة- على الصبر على المصائب، فإن العباس بن نضلة[3] ﷺ قال لقومه قبل المبايعة يثبتهم على البيعة: ((إن كنتم ترون أنه إذا نَهَكَت[4] أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتوه فمن الآن، فهو والله ـ إن فعلتم خِزْي الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال ((الجنة)) قالوا: أبسط يدك، فبسط يده، فبايعوه))[5]. على

---

(١) يعني الصبر عليها.

(٢) رواه البخاري ومالك.

(٣) أنصاري خزرجي، شهد العقبة، وقيل: العقبتين، بل قيل: كان مع النفر الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ، فأسلموا قبل جميع الأنصار، خرج عباس ﷺ إلى مكة، وأقام مع رسول الله ﷺ حتى هاجر إلى المدينة، فكان أنصارياً مهاجرياً. قتل في أحد، ولم يشهد بدراً (أسد الغابة، الإصابة).

(٤) يقال: نهكته الحمى، أضنته وهزلته، وجهدته، ونهكت الناقة حلبا: إذا لم تبق في ضرعها لبنا (القاموس والنهاية).

(٥) ص٢٧٧ جـ١ سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ط ١٩١٤.

هذا كانت المبايعة، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره[1]. ولقد شرع لنا رسول الله ﷺ سنن الهدى، وتركنا على بيضاء نقية، ليلها كنهارها[2]، ولم يتغير دينه بعده ولم يتبدل، ولم يزدد إلا شدة.

وأخبرنا ﷺ أن الدين بدأ غريباً، وأنه سيعود كما بدأ، وقال: (فياطوبى للغرباء)[3] فلا يهتم الإنسان بقلة الموافق فإن الله معه، ومن كان الله معه كان كثيراً، ولا بكثرة المخالف المشاقِق فإنهم أعداء الله فليس معهم، ومن لم يكن الله معه، كان قليلاً ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٧].

قال أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، نزيل القاهرة المحروسة: فرغت من مسودة هذا الكتاب بحمد الهادي للصواب في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة. والحمد لله وحده.

---

(١) من حديث نصه: عن عبادة بن الصامت (بايعنا رسول الله ﷺعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم) الصحيحان، الموطأ، النسائي، المنشط: الأمر الذي ينشط له، ويخفف إليه، الأثرة: الاستيثار بالشيء والانفراد به.

(٢) من حديث رواه ابن ماجه: ((وأيم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها)).

(٣) نص الحديث: ((بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فيا طوبى للغرباء)) رواه مسلم عن أبي هريرة، والنسائي عن ابن مسعود، وابن ماجه عنهما وعن أنس، وطوبى: فرح وقرة عين كما فسرها ابن عباس.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الهادّ لأركان الجبابرة الشِّداد، القامع لأهل الإلحاد، بسيوف السُّنّةِ الحِداد، وأشهد أن لا إله إلا الله المضلّ الهاد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده [ورسوله] الداعي إلى سبيل الرشاد، صلى الله عليه وعلى آله، وصحابته [ومتبعي سنّته] وسلم تسليماً [كثيراً].

وبعد: فهذه رسالة سميتها: تحذير العباد من [القائلين] ببدعة الاتحاد أنفذتها إلى [العلماء] في جميع البلاد، الراغبين في الاستعداد ليوم المعاد، بموالاة أهل [السّنّة]، وملاواة الأشقياء الأضداد، الضالين بنحلة الاتحاد، أرجو أن تكون ضامنة للإسعاد يوم التناد، فقلت: اعلموا أيها الإخوان الذين هم على البِرِّ أعوان، حفظكم الله ورعاكم، وصانكم من كل سوء وحماكم ـ أنه لا يقوم على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر] إلا من جعل نفسه هدفاً للعصاة، وتجرع من مُرِّ الكلام ما هُوَ أَمَرُّ من السهام، فإن الناهي عن المنكر يعاني الأمرّين في الدنيا بمعاداة شياطين الإنس ظاهراً بالمقال والفعال، وشياطين [الجن] باطناً بما يوحون من الضلال.

آيات سَلَّى الله بها نبيه

ولصعوبة المقام، وما فيه من الأخطار والآلام، سلى الله نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ

رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٧-٩٩] وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[الأنعام: ٣٣] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ١٠٨] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾[الأنعام: ١١١-١١٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[الأنعام: ١٢١-١٢٣] إلى غير ذلك من الآيات والدلالات الواضحات، ففي [حال] الأنبياء الذين هم أشرف [البشر] عليهم أفضل الصلاة والسلام مَسْلاةٌ لأتباعهم واعتبار بأحوالهم، وما أتى أحدٌ قط أحداً بمخالفة هواه إلا ساءه وآذاه إلا من عصم الله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[البقرة: ٨٧] وهؤلاء الذين اتسموا بسمة الاتحاد وقد أَلِفَهُم الطغام من الأنام؛ لِمَا غَرُّوهم به من إظهار [الزهد

ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم].

منابذة الصوفية للعقل والشرع

فأول ما بنى [المتصوفة الزنادقة] عليه أمرهم ترك العقل[1] الذي بنى الله أمر [التكليف] على حكمه، بشرط استناده إلى النقل الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام، لئلا يزل العقل بما يغلبه من الفتور والشهوات، وضموا إلى ذلك الداهية الدهياء، وهي ترك ما عظَّم الله ورسوله ﷺ الكون بمدحه، وهو العلم [الشرعي] [بل] حذّروا [منه] غاية التحذير؛ فكانوا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وذلك بَيِّن جداً في فصوص ابن عربي، وتائية ابن الفارض وكل منهما[2] ثابت عمّن نُسِب إليه ثبوتاً [تامّا].

موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض

وقد كفرهما العلماء بسبب ما نُقل من حالهما، وما صَدَّق ذلك من كلامهما. أما ابن عربي، فالمتكلمون فيه كثير جداً، وكان له علم كثير في فنون كثيرة، وله خداع كبيرٌ غَرَّ به [بعض] المؤرخين ممن خفى عليهم أمره. أطبق العلماء على تكفيره وصار أمراً إجماعياً.

وأما ابن الفارض فأمره أسهل؛ وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية وقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا، فمن أهل عصره

---

(١) مقياس الحقيقة ومصدر المعرفة عند الصوفية هو الذوق، وهذا سر ترديدهم لأسطورتهم: من ذاق عرف، أما العقل فيكفرون به، ويرونه حجاباً يستر الحقيقة.

(٢) يعني: الفصوص والتائية الكبرى.

سلطان العلماء عز الدين [ابن] عبدالسلام الشافعي، والحافظ الفقيه الأصولي تقي الدين ابن الصلاح الشافعي، والإمام الفقيه المحدّث الصوفي قطب الدين القسطلاني الشافعي، والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلي، وشرح التائية وبيّن عواره قيها بيتاً بيتا ـ وأبو علي عمر بن خليل الكوني المالكي، والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي.

وممن يليهم قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الصوفي الشافعي، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز الشافعي، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي، والشرف عيسى الزواوي المالكي، والسعد الحارثي الحنبلي، والإمام أبو حيان الشافعي، وأبو أمامة ابن النقاش الشافعي، والحافظ شمس الدين الموصلي الشافعي، وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي، وشيخ الفقهاء الزين الكتناني الشافعي، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي.

وممن يليهم الكمال جعفر الأدفوي[1] الشافعي، والبرهان إبراهيم السفاقسي المالكي، والشهاب أحمد بن أبي جحلة الحنفي، والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي.

وممن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزري[2] الشافعي، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي، وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخاري الحنفي الصوفي، وكفَّر بعض من قال بحضرته: إن ذلك يُؤَوّل، وما أنكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تكفيره له، ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب، وما

---

(١) ولد سنة ٦٨٥هـ، أو سنة ٦٧٥هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ.

(٢) ولد بالقدس سنة ٧٢٤هـ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ ومن شيوخه ابن قيم.

وَسِع المكفَّر إلا البراءة من الاتحادية، ومذهبهم.

وممن يليهم قاضي القضاة ولي الدين العراقي، وقاضي القضاة حافظ عصره شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي، وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي، وعلامة اليمن بدر الدين حسين ابن الأهدل الشريف الشافعي الصوفي، كما شهد بهذا النقل عنهم مصنفاتهم ومصنفات غيرهم من العلماء، ومنها: شرح التائية لابن حمدان، وديباجة ديوان ابن الفارض، ولحن العوام لابن خليل، وتفسير أبي حيان البحر والنهر، والفرقان لابن تيمية، وقصيدة السفاقسي، وكتاب ابن أبي حجلة، والميزان ولسانه لابن حجر، والتاريخ لابن كثير، وناصحة الموحدين للعلاء البخاري، والفتاوي المكية للعراقي، وتاريخ العيني، وشرح التائية للبساطي، وكشف الغطاء لابن الأهدل.

موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض

وممن كفره قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي، وقاضي القضاة محقق زمانه شمس الدين القاياتي، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسي الشافعي والعلامة علاء الدين القلقشندي الشافعي، والشيخ يحيى العجيسي المالكي والعلامة شمس الدين البلاطنيسي الشافعي شيخ الشاميين في وقته، وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندي الحنفي ابن صاحب الهداية، والعلامة الصوفي كمال الدين ابن إمام الكاملية الشافعي، والعلامة شهاب الدين بن قر الشافعي، والعلامة أبو القاسم النويري المالكي، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم.

فهؤلاء أعيان العلماء في عصر ابن الفارض، وفي كل عصرٍ أتى بعده طبقة بعد

طبقة إلى وقتنا هذا؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة لمن قال بكفره؛ أما من لم ندركه فبشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائليها. وأما من أدركناه فبشهادة الكتب في بعضهم، وشهادة الثقاة في باقيهم، هذا إلى ما شهدت به شروح التائية كما يأتي[1].

تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواتراً معنوياً. وقد عُلم بهذا عذر من كفَّره لو لم يكن له سند غير هذا، فكيف وقد تأيد هذا بما في كلامه وكلام ابن عربي من الطامات التي منها منابذة العقل والشرع كما مضى؟

الضلال عند ابن عربي خير من الهدى

أما ما في الفصوص من ذلك، فقد قال في الفص النوحي في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام، التحريف الذي يكفر الإنسان بأدنى شيء فيه: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤] أي: حَيَّروهم في تعداد الواحد ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ المصطفين الذين أورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ إلا حيرة، فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب فلا يبرح منه، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو

---

(١) إن من يقرأ نصف بيت من تائية ابن الفارض، كقوله: (فبي دارت الأفلاك) أو: (وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها) أو: (وما زلت إياها) من يقرأ شيئاً من هذا لا يتردد في الحكم على ابن الفارض أنه رجل انسلخ عن الإسلام. يحكم بهذا المسلم، بل غير المسلم ممن يقارنون بين التوحيد في القرآن وبين الوحدة عند ابن الفارض. فما بالك وقد حكم عليه كل هؤلاء العلماء [وغيرهم كثير].

فيه، صاحب خيال إليه غايته، وله (من) و(إلى) وما بينهما، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له، فيلزمه (من) ولا غاية له، فيحكم عليه (إلى) فله الوجود الأتمّ، وهو المؤتى جوامع الكَلِم والحكم) وقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢] لأن الدعوة إلى الله مَكْرٌ بالمدعُوِّ، لأنه ما عدم من البداية، فَيُدعى إلى الغاية، ادعوا إلى الله، فهذا عين المكر[1].

يرمز لله بالتأنيث

وأما ما في التائية من ذلك [فقد رمز] لله تعالى - كما أجمع عليه شراحه- بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها وهي نحو [ثمانمائة] بيت، ولو خاطب أحد من أهل الزمان غيرَه بمثل ذلك[2] قاتَلَه، لكن الناس لا [يتساهلون] إلا عند حقوق مولاهم سبحانه، وأما في حقوقهم فهم في غاية الحدة والمشاححة، والله الهادي.

تفضيل الزنديق نفسه على الرسل

قال:

وحزني ما يعقوبُ بَثَّ أقَلّه
وكلُّ بَلا أيوب بعضُ بليتي

وقال القاضي عياض في أواخر الشفاء: (من قال: صبرت كصبر أيوب، إن دُريء عنه القتل لم يسلم من عظيم النكال) وأقول: فكيف إذا فضلَّ نفسه، وكَذّب نحو قوله ﷺ:

---

(١) سبق نقل هذا عن ابن عربي وتعليقي عليه، ص (١٩).

(٢) أي: بمثل غزله الماجن في الذات الإلهية.

(أشد الناس بلاء الأنبياء[1])؟

الخلاعة سنة ابن الفارض

قال:

وخلع عذاري فيك فَرْضِي وإن أبى اقـ
ـترابي قومي، والخلاعة سنتي
وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكي
فأبدوا قِلًى واستحسنوا فيك جفوتي
وأهلِيَ في دين الهوى أهلُه، وقد
رضوا ليَ عاري واستطابوا فضيحتي
فمن شاء فليغضب سواك فلا أذى
إذا رضيت عني كرام عشيرتي
ذللتُ بها في الحي حتى وجدتني
وأدنى منالٍ عندهم فوق همتي
وأخملني وَهْنا خضوعي لهم، فلم
يروني - هواناً بي - محلا لخدمتي
ومن درجاتِ العز أمسيتُ مُخْلِداً

---

(١) سبق ذكره، ص (٧١).

إلى دركـــات الـــذل مـــن بعـــد نخـــوتي

فـــلا بـــاب لي يُغشـــى، ولا جـــاه يُرْتجـــى

ولا جـــــار لي يُحمـــــى لفقـــــد حَمِيَّتـــــي

كـــأن لم أكـــن فـــيهم خطـــيراً، ولم أزل

لـــــديهم حقـــــيراً في رخـــــائي وشـــــدتي

فحـــالي بهـــا حَـــالٍ[1] بعقـــل مُدَلَّـــهٍ[2]

وصـــــحةِ مجهـــــود، وعـــــزٍّ مذلـــــة

أسرَّت تُمَنِّـــي وَصْـــلَها الـــنفس حيـــث لا

رقيـــب حِجـــاً سِرّاً لِسِرِّـــيْ وخصـــت

يغالـــط بعض عنـــه بعضي صبابـــــة[3]

ومَيْنـــي في إخفائـــه صـــدق لهجتـــي

أجمع شراح التائية على أن المراد بالأبيات التسعة الأولى: أن طريقة هتك أستار الحرمة، والخرق في بعض النواميس الإلهية، وتخليته الناس مع ربهم من غير أمرٍ بمعروف ولا نهي عن منكر، ورضاه بكل ما يقع منهم لشهوده الأفعال كلها الواحد[4] الحقيقي

---

(١) أي: متزين.

(٢) في الأصل: لعقل مدلة، والتصويب من الديوان.

(٣) يقصد ببعضه الأول: نفسه، وبالآخر: عقله.

(٤) لعله سقط قبلها: من، أو: فعل، أو: صادرة عن.

الظاهر في صور الكثرات، وعدم الالتفات إلى المُتَرَسِّمين من الزُّهَّاد والعُبّاد، وكسر نواميسهم، والرد عليهم وعدم التقيّد بظواهر العلوم والاعتقادات، فحملهم ذلك على أن رموه بالفسق والبدعة والكفر والإباحة والزندقة والخروج عن طريقهم، فذل بين حيّ أهل الشريعة والطريقة.

وقال بعد ذلك بكثير:

ولا استيقظت عين الرقيب، ولم تزل

عليَّ بها في الحب عيني رقيبتي

قال التلمساني: (يعني لما سكرت روحي، ونامت عين الرقيب - وهو الشرع والعقل- أقمت عيني رقيبة عليَّ لرعاية آداب حضرة المحبوبة).

ذمه للرسل وللشرائع

وقال في ذم الشرع أيضا:

منحتُك عِلْماً إن تُرِدْ كَشْفَه فَرِدْ

سبيليَ، واشْرَعْ في اتباع شريعتي

فَنَبْعُ صَدَاه من شراب نقيعة

لَدَيَّ، فدعني من سرابٍ بقيعة

ودونك بحراً خضته، وقف الأُولى

بساحله صَوْناً لموضع حُرْمَتي

قال الشراح: (إن معنى ذلك أنه منح أتباعه علما كماء صَدَّاء، وهو ماء يُضرَب به المثلُ في الغزارة والعذوبة، ونهى عن متابعة غيره من علماء الظاهر من الأصوليين والفقهاء ومن الفلاسفة وغيرهم من أهل العلوم ، فإنها تغرّ السامع وهي كسراب بقيعة ليست شيئاً، وأنه خاض بحر التوحيد وأخرج منه ما لم ينله أحدٌ من السابقين من الأنبياء والأولياء لوقوفهم في ساحل ذلك البحر لأجل حفظ حرمته[1]) ثم خادعوا[2] بأن قالوا: (قال هذا على لسان الحضرة المحمدية[3]؛ إذ كمال التوحيد مختص بمقام جمعه، والكمل والتابعين إياه) انتهى .

وقد وقع من شرحه بذلك - مع الحيدة عما لا محيد عنه- في الكفر من جهة أخرى، وهي أنه يلزم منه تفضيل أتباع النبي ﷺ على الأنبياء الماضين عليهم السلام[4].

يفضل أتباعه على الرسل، وزندقته على شرعة الله

ومن نمطه ـ لكونه لا ينفك عن كفر ـ قوله عَقِبَه:

---

(١) أي: حرمة ابن الفارض.

(٢) أي: شراح التائية.

(٣) ظن المؤلف أنهم يقصدون بالحضرة المحمدية محمدا ﷺ، وهذا غير صحيح، فالصوفية يريدون بالحضرة المحمدية الذات الإلهية مع التعين الأول، ومن باطنها يزعمون أنهم يستمدون الفيوضات الإلهية مباشرة، فمعنى قول الشراح إذا: أنه قال هذا على لسان الله سبحانه، والدليل قولهم: مختص بكمال جمعه: أي: إنه هو الذات الكاملة التي جمعت بين الحق والخلق في أكمل ماهية.

(٤) بل تفضيل نفسه على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى فرض صحة زعمهم أنه يتكلم بلسان محمد ﷺ، فإنه يكون بهذا قد تعمد الكذب على رسول الله، فهو ﷺ ما قال هذا الشعر الصوفي، وجزاء متعمد الكذب على الرسول الكريم : ((فليتبوّأ مقعده من النار)).

وأصـــغرُ أَتْبـــاعي عـــلى عـــين قلبـــه

عـــــرائسُ أبكـــــارِ المعـــــارف زُفَّـــــتِ

فـــإن سِـــيل[1] عـــن معنـــى أتـــى بغرائـــب

مـــن الفهـــم جلَّـــت، أو عـــن الـــوهم دَقـــت

فإنه لا يصح على لسانه، ولا لسان غيره[2].

ثم قال في ذم الشرع والعلم:

ولاتك ممن طيَّشْته دروسُه بحيث استقَلَّت عقلَه واستفزت

فَثَمَّ وراء النقل علم يَدِقُّ عن مدارك غايات العقولِ السليمة

تلقيتُه مني، وعني أخَذْتُه ونفسيَ كانت من عطائي[3] مُمِدَّتي

قالوا في معناه: (لا يستخفنك كثرة دروس العلوم النقلية، فوراءها علم مكنونٌ أخذتُ ظاهره من حسي، وباطنه من عقلي، وسِرَّه من روحي، ومكنونه من سري من حيث أن كل واحد منها عيني وذاتي، ولا وصف ولا نَعْتَ زائد عَلَيَّ حاكم بمغايرتي وغيريتي إياها، فكنت المعطِي وكنتُ المعطَى، وكنتُ المُمِدَّ وكنتُ المُسْتَمِدَّ والفاعل والقابل[4]).

---

(١) أي: سئل.

(٢) أي: ولا لسان محمد ﷺ، رداً على زعمهم أنه يتكلم بلسان الحضرة المحمدية.

(٣) في الأصل: بالعطاء. والتصويب من الديوان. وابن الفارض يختار كلمتي الإعطاء والإمداد عن عمد آثم يدلك على مبلغ اعتقاده في أنه هو الله، إذ الله سبحانه هو الذي يقول عن نفسه تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾.

(٤) لو قرأت بإزاء هذا قول الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لحكمت على هذا الرجل من آية

هذا أمرهم في الانسلاخ من العقل.

ادعاؤه الربوبية

ولما تمهد له في زعمه[1] أدعى أنه الله؛ عِناداً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ [المائدة: ١٧] وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٩] وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ولأمر[2] رسول الله ﷺ في قتاله لكل من سمَّى شيئاً غير الله إلهاً، فقال:

فَبِي دارت الأفلاكُ فاعجب لقطبها الْـ ... ـمُحيطِ بها، والقطبُ مركز نقطتي
فمن قال أو من طال أوصال إنما ... يَمُنَّ بإمدادي له برقيقة
وما سار فوق الماء أو طار في الهوا ... أو اخترق النيران إلا بهمتي
وَمِنِّي لو قامت بِمَيْتٍ لطيفة ... لَرُدَّت إليه نفسُه وأعيدت
ولا تَحْسَبَنَّ الأمرَ عَنِّيَ خارجا ... فما سادَ إلا داخلٌ في عبودتي
فلا حَيَّ إلا عن حياتي حياتُه ... وطَوْعُ مرادي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيدَة
[ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن ... شهود، ولم تُعْهَدُ عهود بِذِمَّةِ

واحدة بأنه خارج عن الإسلام.

(١) أي: في زعم ابن الفارض.

(٢) معطوفة على قوله قبل: لقوله تعالى.

ولا قائـــل إلا بلفظـــي مُحَـــدِّث ولا نـــاظِرٌ إلا بنـــاظر مقلتـــي

هذا لا يصح كونه عنه، ولا عن الله !!

زعمه أن صفات الله عين صفاته

ويقول أيضاً أن الله يتحد به، بحيث يصير الذاتان ذاتاً واحدة، فمن ذلك قوله:

ولا مُنْصِـــتٌ إلا بســـمعَي ســـامع ولا بـــاطشٌ إلا بـــأَزْلِي وشِـــدَّني

ولا نـــاطق غـــيري، ولا نـــاظِرٌ ولا ســـميعٌ سِـــوَائي مـــن جميـــع الخليقـــة

وهانـــا أُبْـــدِي في اتحـــادِيَ مَبْـــدَئي وأُنْهـــي انتهـــائي في تواضُـــع رِفْعَتـــي

جَلَـــتْ في تَجَلِّيهـــا الوجـــودَ لنـــاظري ففـــي كـــل مَرْئِـــيٍّ أراهـــا برؤيـــة

وأُشْـــهِدْتُ غَيْبـــي إذ بـــدت فَوَجَـــدْتني هنالـــك إيَّاهـــا بِجَلْـــوَة خَلْـــوَتي

فَوَصْـفِيَ - إذ لم تَـدْعُ بـاثنين - وصـفُها وهيئتها - إذ واحـد نحـن - هيئتـي [1]

فـإن دُعيَـتْ كنـتُ المجيـب وإن أكـن مُنـادِي أجابـتْ مـن دعـاني، ولَبَّـت

وإن نطقـت كنـتُ المنـاجي، كـذاك إن قصصـتُ حـديثاً إنـما هـي قَصَّـت

فقـد رُفِعَـت تـاءُ المخاطـب بيننـا [2] وفي رفعها عـن فُرْقَـةِ الفَـرْق[1] رفعتـي

---

(١) زعم الزنديق قبل أنه قطب الأقطاب، وأن له وحده القدرة المهيمنة، والعلم المحيط بما في عالمي الغيب والشهادة، وفي هذه الأبيات يوغل أيضاً في التزندق إيغالاً فاجراً، فيزعم أنه السيد لكل سيد، وأنه مفيض الحياة والوجود، وأنه المهيمن على إرادة كل مريد.

(٢) الفَرْق عند الصوفية: (شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر) جامع الأصول في الأولياء. فالفرق لا يزال مشوبا بالغيرية، لذا يزعم ابن الفارض أنه تسامى عن هذه المرتبة التي يشعر فيها السالك أن ثمت بينه وبين الله سبحانه وجها ما من وجوه الغيرية، وأنه في أفق يوقن فيه وتحقق منه أنه هو

فـــإن لم يُجَـــوِّز رؤيـــة اثنـــين واحـــدا حِجـــاك، ولم يُثْبِـــتْ لبعـــد تَثَبُّـــت
ســـأجلو إشـــارات عليـــك خَفِيّـــة بهـــا، كعبـــاراتٍ لـــديك جَلِيَّـــةِ
وأثبـــتُ بالبُرْهـــان قـــولي ضَـــاربا مِثـــالَ مُحِـــقٍّ، والحقيقـــة عمـــدتي
بمتبوعـــةٍ ينبيـــك في الصَّـــرْع غيرُهـــا عـــلى فمِهـــا في مَسِّـــها حـــين جُنَّـــت
ومـــن لغـــةٍ تبـــدو بغـــير لســـانها عليـــه بـــراهينُ الأدلَّـــةِ صَـــحَّت
وفي العلـــم حقّـــاً أنَّ مُبْـــدِي غريـــبَ مـــا سمعت سواها، وهي في الحـسِّ أبـدت

زعمه أن الله سبحانه يصلى له

ولا غـــرو أن صـــلى الأنـــام إليَّ أن ثـــوت بفـــؤادي، وهـــي قِبْلـــةُ قِبْلَتـــي
لهـــا صـــلواتي بالمقـــام أقيمهـــا وأشـــهد فيهـــا أنهـــا لي صَـــلَّت
كلانـــــا مُصَـــــلٍّ واحـــــدٌ ســـــاجدٌ إلى
حقيقتـــــه بـــــالجمع[٢] في كـــــلِّ ســـــجدة

عين الذات الإلهية.

(١) الخطاب يستلزم الاثنينية، إذ يقتضي وجود مخاطِب ومخاطَب، لذا ينفي ابن الفارض الخطاب، ليثبت من وراء نفيه أنه ما ثم غيره حتى يخاطبه، وإنما هناك ذات واحدة،هي الذات الإلهية المتعينة في صورة ابن الفارض، أو لعله يريد أن تاء المخاطب -وهي مفتوحة- تحولت إلى تاء المتكلم وهي مضمومة، فبدل أن يقول: أنت خلقت، أصبح يقول: أنا خلقت.

(٢) الجمع عند الصوفية: (شهود الحق بلا خلق، أو الإشارة إلى حق بلا خلق، وهو ما يسمى: وحدة الشهود)غير أن ابن الفارض يعني به هنا ما هو أشد كفرا، إذ يزعم أنه حين يسجد، فالساجد والمسجود له حقيقة واحدة هي الحق في صورة خلق، يعني الإله باعتبار الإطلاق، والإله باعتبار التعين في صورة ابن الفارض.

ومـــــا كـــــان لي صـــــلّى ســـــوايَ[1] ولم تكـــــن
صـــــلاتي لغـــــيري في أدا كـــــل ركعـــــة

ثم قال بعد ذلك:

وفـارق ضـلالَ الفـرقِ فـالجمعُ، مُنْـتجٌ هُـــدَى فُرْقَـــةٍ بالاتحـــاد تحـــدت

ابن الفارض يجعل المعشوقة ربّاً

وصَرِّح بـــإطلاق الجـــمال، ولا تقـــل بتقييـــده مَـــيْلاً لزخـــرف زينـــة
بها قيس لُبْنَى هـــام، بـل كـل عاشـــق كمجنـــون لـــيلى، أو كُثَـــيِّر عَـــزَّة
فكـلٌّ صـبا مـنهم إلى وصـف لبسـها بصـورة حسـن لاح في حسـن صـورة
ومـــا ذاك إلا أن بـــدت بمظـــاهر فظنـوا سـواها، وهـي فيهـا[2] تجلـت
ففـــي النشـــأة الأولى تـــراءت لآدم بمظهـر حَـوَّا[3] قبـل حكـم الأمومـة
فهـام بهـا كـيما يصـير بهـا أبـا ويظهـــر بـــالزوجين سِرُّ البنـــوة

انظر إلى هذا التجاسر [عـلى] الكفـر [بـالله والكـذب] عـلى صَـفِي الله آدم عليـه السلام.

ومـا برحـت تبـدو وتخفـى لعلـة عـلى حسـب الأوقـات في كـل حِقبـة

---

(١) فيما قبله عبر بقوله: (كلانا مصل) ثمّ عقبه بما ينفي الاثنينية المفهومة من (كلانا) وهو قوله (واحد ساجد). غير أنه لم يكتف بهذا في نفي الاثنينية، فنظم هذا البيت (وما كان لي صلى سواي.. إلخ) توكيداً لنفي ما نفاه من قبل، وتوكيداً لمعنى الوحدة بينه وبين الله سبحانه.

(٢) في الأصل: فيهم، والتصويب من الديوان، فالضمير يعود على المظاهر.

(٣) يفترى أن الذات الإلهية تعينت لآدم في صورة حواء [وأنهما صارا زوجين].

وتظهـــر للعُشَّـــاقِ في كـــل مظهـــر ... مـن اللَّـبْس في أشـكال حسـن بديعـة

ففـــي مَـــرَّةٍ لُبْنَـــى، وأخـــرى بثينـــة ... وآونـــة تُـــدْعى بِعَـــزة، عَـــزَّتِ

ولَسْـــن ســـواها، لا ولا كُـــنَّ غيرهـــا[1] ... ومـــا إنْ لهـــا في حُسْـــنِها مـــن شريكـــةِ

كـــذاك بحكـــم الاتحـــاد، لِحُسْـــنها ... كـــما ليْ بَـــدَتْ في غيرهـــا، وتَزَيَّـــتْ

بَـــدَوْتُ لهـــا في كـــل صَـــبٍّ مُتَـــيَّمٍ ... بـــأَيِّ بـــديع حســـنُه، وبِأَيَّـــتِ

وليســـوا بغـــيري في الهـــوى لتَقَـــدُّمٍ ... عَـــلَيَّ بســـبقٍ في الليـــالي القديمـــة

ومـــا القـــوم غـــيري في هـــواي، وإنـــما ... ظهـــرتُ بهـــم لِلَّـــبْسِ في كُـــلِّ هَيْئَـــة

ففـــي مَـــرّةٍ قيســـاً، وأخـــرى كُثَـــيِّراً ... وآونـــة أبـــدو جميـــل بثينـــة

تَجَلَّيْـتُ فـيهم ظـاهراً، واحتجبـتُ بـا ... طِنـاً بِهِـمُ، فاعجـب لِكَشْـفٍ بِسُـتْرَةِ

وهُـــنَّ وهـــم[2] - لا وَهْـــنَ وَهْـــم - مظـــاهر

لنـــا بتجلينـــا بِحُـــبٍّ، ونَضْـــرَةِ

فكـل فتـى حُـبٍّ أنـا هُـوَ، وهْـيَ حِـ ... ـبُّ كُـلِّ فتـى، والكـلُّ أسـماء لبسـة

أسـامٍ بهـا كنـتُ المسـمَّى حقيقـةً ... وكنـت ليَ البـادي بِـنَفْسٍ تَخَفَّـتِ

ومـا زلـتُ إياهـا، وإيَّـايَ لم تَـزَلْ ... ولا فَـرْقَ، بـل ذاتي لِـذاتي أَحَبَّـتِ[3]

---

(١) يفترى الزنديق أن لبنى وبثينة وعَزَّة وليلى ما هن إلا الذات الإلهية تعينتْ في صور هؤلاء الغواني العاشقات، وأن قيساً وجميلاً وكثيّراً وعامراً عشاق أولئك النسوة، ما هم إلا [عشّاق] الذات الإلهية [تعالى الله عما يقول الزنديق علوّاً كبيرا].

(٢) العشيقات والعشاق الذين ذكروا قبل، والذين هم رمز عن الوجود المتعين.

(٣) هذا وما قبله يؤكد أن ابن الفارض ممن يدينون بوحدة الوجود، لا بالاتحاد، ألا تراه يؤكد أن

وليس معي في المُلْكِ شيء سواي والـ ـــمَعِيَّةُ لم تخطرْ على أَلْمِعِيّتي

فهذا ظاهر في إرادة الاتحاد[1] بحيث أن الذاتين تكونان ذاتاً واحدة.

ثباته على اعتقاد الوحدة

ثم قال في إثباته[2]، ونفي الحلول:

رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُدَّتي

وعُذْتُ بِنُسْكي بعد هَتْكي، وعدت من

خلاعة بسطي، لانقباض بعفتي

وصمتُ نهاري رغبةً في مثوبة وأحييت ليلي رهْبةً من عقوبةِ

وعَمَّرتُ أوقاتي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ وصُمْتُ لِسَمْتٍ، واعتكافٍ لحرمة

وبِنْت عن الأوطان هجرانَ قاطعٍ مواصلة الأحباب، واخترت عُزْلتي

ودَقّقتُ فكري في الحلال تَوَرُّعاً وراعيتُ في إصلاح قُوْتي، وقُوَّتي

وأنفقتُ من يُسْرِ القناعة راضياً من العيش في الدنيا بِأَيْسَرِ بُلْغَةِ

وهذبت نفسي بالرياضة، ذاهباً إلى كشف ما حجب العوائدِ غَطَّتِ

وجَرّدْت في التجريد عزمي تَزَهُّداً وآثرتُ في نُسْكي استجابةَ دعوتي

مظاهر الوجود المختلفة هي عين الذات، وأن الذات منذ أحبت أن تتعين وهي تتجلى في صور الوجود، وأن هذه الحقيقة -حقيقة تعين الحق في صور الخلق- لا يطيف بها وهم من الأوهام؟!

(١) الصور اللفظية لابن الفارض تشعر بهذا، أما معانيه وشرحه في القصيدة لمعتقده فيؤكدان إيمانه بالوحدة [والنتيجة الكفر على أيّ حال، المهذِّب].

(٢) أي: في إثبات الاتحاد، والحق أنها وغيرها في إثبات الوحدة.

متـــى حِلْـــتُ عـــن قـــولي: أنـــا هِـــيَ، أو أقـــل
وحاشـــــــا لِمِـــــــثْلي أنهـــــــا فِيّ حَلَّـــــــت

جميع هذه الأفعال التي هي محاسن الشريعة جعلها نقائض، ودعا على نفسه بها[1]، بها[1]، إن ادعى الحلولَ، أوحالَ عن دعوى الاتحاد.

استدلاله على زندقته

ثم قال بعد هذا بكثير في أواخر القصيدة، دالاً على مذهبه فيما زعم:

وجـــاء حـــديث في اتحـــادِيَ ثابـــت رِوَايتُـــه في النقـــلِ غَـــيْرُ ضـــعيفة
يُشِـــيرُ بِحُـــبِّ الحَـــقِّ بعـــد[2] تَقَـــرُّبٍ إليـــه بِنَفْـــلٍ، أو أداء فريضـــة
ومَوْضـــعُ تنبيـــه الإشـــارة ظـــاهِرٌ بِكُنْـــتُ لـــه ســـمعاً كنـــورِ الظَّهِـــيرة

قال شارحه: (إن الحبَّ ميل باطنيٌ أَثَرُهُ رفْعُ امتياز المحب والمحبوب، ورفعُ ما بينهما[3]، والمحب عين الحضرة الإلهية، والمحبوب ظهور كماله الذاتي والأسمائي، ولن يصح يصح لقبول هذا الظهور المحبوب منصة إلا الحقيقة الإنسانية صورة ومعنى؛ لكمال

---

(١) يدعو ابن الفارض على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية المصلّية الصائمة الذاكرة، الزاهدة، يدعو بهذا على نفسه إن تحول يوما عما يدين به، وهو أنه هو الله سبحانه، أو كما يقول:
= (متى حلت عن قولي: أنا هي) وجواب (متى) يدل عليه ما سبق من أول قوله: (رجعت لأعمال العبادة)... إلخ.

(٢) في الأصل: عند. وهي كما أثبتها من الديوان.

(٣) أي: رفع كل ما بينهما من فروق ذاتية وصفاتية، حتى تصير الذاتان ذاتاً واحدة (سمعت السرّي السقطي يقول: لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا) ذَكَره القشيري في رسالته في باب الحب.

جَمْعِيّتها، وتتميمها دائرة الأزلية والأبدية، والحديث المشير بهذا الاتحاد: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ولساناً ورجلا[1]. وعبارة التلمساني في مقدمة شرحه: نَصٌّ في المراد، وهي: (فالسمع والبصر ـ وغيرهما من الصفات في أي موصوف كان هو الله حقيقة) وسيأتي كلام القشيري والسهروردي: أن هذا زندقة. وساق ابن الفارض بعد الأبيات الماضية ما زعم أنه يدل على دعواه الاتحاد وأنه إذا دل على ذلك انتفى الحلول، فقال:

ولستُ على غيبٍ أحيلُك لا، ولا ... على مستحيل موجبٍ سلبَ حِلْيَتي
وكيف، وباسم الحق ظلّ تحققي ... تكون أراجيف الضلالِ مخيفتي؟
وها دِحْيَةٌ[2] وافى الأمينُ[3] نبيَّنا ... بصورته في بدء وَحْيِ النبوَّة
أجبريل قل لي: كان دحيةَ إذْ بدا ... لِمُهْدِي الهدى في هيئة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مَزِيَّةٌ ... بما هِيَّةِ[4] المرئيِّ من غير مِرْيَة

---

(١) روى الحديث باختصار مخل. وليس في الحديث ذكر كلمة: لسان. وأنقل لك هنا طرفا مما شرح به ابن قيم الحديث لترى كيف يفهم المؤمنون، ويهرف بالزندقة الصوفيون: (وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر، فإن هذه آلات الإدراك وآلات الفعل، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكراهة، ويجلبان إليه الحب والبغض، فتستعمل اليد والرجل، فإذا كان سمع العبد بالله وبصره به كان محفوظاً في آلات إدراكه، فكان محفوظاً في حبه وبغضه، فحفظه في بطشه ومشيه، ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محابه، حصلت =
= موافقة الرب لعبده في [قضاء] حوائجه ومطالبه، فقال: (ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) اقرأ الشرح كاملا في الجواب الكافي لابن قيم ط السنة المحمدية ص٢٠٢ وما بعدها.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة، صحابي مشهور.

(٣) جبريل عليه السلام.

(٤) ماهية الشيء: حقيقته التي تقال في جواب: ما هو؟

يــرى ملَكــاً يــوحي إليــه، وغــيرُه يــرى رجُــلاً يرعــى لديــه لصــحبة
ولي مــن أصــحِّ الــرؤيتين إشــارةٌ تنــزه عــن رأي الحلــول عقيــدتي

ابن الفارض يدين بتلبس الله بصورة خلقه

قالوا: (إن المراد - كما هو ظاهر جداً - أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية من غير حلول فيه، ولأجل ظهوره كذلك ادعى أن الله تعالى تجلى بصورة الناظم، لم يدّع حلوله[1] فيه).

قال البساطي: (لكن دعوى تَجَلِّي الله بصورةٍ ما مُكَفَّرٌ بها ـ شرعاً بإجماع المسلمين [المتّقين] ـ من آمن به وإن لم يكن حلولاً).

ثم قال، دالاً على أن ما قاله بزعمه في الكتاب والسنة:

وفي الــــذِّكْرِ[2] ذِكْــــرُ اللــــبسِ لــــيس بمُنْكَــــرٍ
ولم أَعْــــدُ عــــن حُكْمَــــيْ كتــــابٍ وســــنة

وشَرَحه الشراح كُلهم بقوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ[3]﴾ [القصص: ٣٠]

---

(١) مع كفره البين بقياس شأن الله على شأن عبده جبريل، وحكمه بوقوع تلبس الخالق بصور الخلق، قياسا على ما وقع لجبريل، إذ تلبس بصورة دحية.
أقول: مع كفره بهذا، فالحديث ناطق بالحق يهدم ما بنى ابن الفارض [خرافته] عليه من باطل، فهو لا يثبت إلا ظهور جبريل بصورة دحية، فلم يكن ثم - إذا- ذاتان اتحدت إحداهما بالأخرى.

(٢) القرآن.

(٣) يفتري الزنديق أنّ من كلّم موسى هي الشجرة، وأنها كانت هي الله سبحانه متجلياً في صورة

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1] [الأنفال: ١٧] وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] [الفتح: ١٠] وفي السنة حديث الإتيان في الصورة التي

شجرة، ثم يأخذ من هذا الإفك الأثيم دليلا على دعواه، وهو تعين الله في صورة خلقية، ورغم هذا البهتان فالآية تدمغهم؛ فإنها تثبت وجود أغيار كثيرة غير الرب الذي ظنوه شجرة. تثبت وجود موسى، والشاطئ، والبقعة المباركة. وابن الفارض وأتباعه يدينون بأنه ما ثم غَيْرٌ أبدا، فعندهم أن الله سبحانه عين كل شيء. وهم يزعمون هنا أن الشجرة وحدها كانت هي الله، فما استدلوا به يناقض ما يدينون به.

(١) يتخذ الصوفية -كدأبهم في التلبيس - من هذه الآية دليلا على أن فعل العبد عين فعله ليثبتوا = = من ورائه أن ذات العبد عين ذات الله سبحانه وإليك ما يردّ به الإمام ابن تيمية بهتانهم: (قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي أن يقال [ذلك] لكل أحد حتى يقال للماشي: ما مشيت ولكن الله مشى، وطرد ذلك يستلزم أن يقال: وما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر، ومن قال هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين.

ولكن معنى الآية: أن النبي ﷺ يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم؛ فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم بقدرته فالرمي الذي أثبته ليس هو الرمي الذي نفاه عنه، وهو الإيصال والتبليغ، وأثبت له الحذف والإلقاء) باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص٩٦ جـ١.

(٢) يزعم الصوفية أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ تؤيد بهتانهم في الاتحاد والوحدة، وإليك رد الإمام ابن تيمية عليهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ إنما أراد به أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه، فمن بايعك فقد بايع الله، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله، ومن ظن في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية: أن المراد به أن فعلك هو فعل الله، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته وجعله مثل غيره، وذلك أنه لو كان المراد به أني خالق لفعلك، لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله، ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله، ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلى هذا التقدير؛ فالمبايع هو الله أيضا، فيكون الله قد بايع الله، إذ الله خالق لهذا ولهذا، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلول والوحدة والاتحاد فإنه عام عندهم في هذا وهذا، فيكون الله قد بايع الله، وهذا يقوله كثير من

تُنْكَر يوم القيامة، ثم في الصورة التي تُعْرَف[1]. ثم قال[2]: (فعلم أنه تعالى يتلبّس بأيّ لباس صورةٍ شاء مِمَّا يُعْرَف ومما يُنْكَر من غير حلولٍ، فكان ظهوره بصورتي جائزاً من غير حلول، فصح بهذا دعوى اتحادي مع نفي الحلول) انتهى. وليس وراءه تصريح بالكفر، نسأل الله العافية.

وقالوا في شرح البيت الثاني[3]: (إن الحق من أسماء الذات، ومن اتصف بأسماء الذات أعلى مِمَّن اتصف بأسماء الصفات، وقد أخبر عن اتصافه باسم الحق -وهو الثابت بذاته، المُثْبِتُ لغيره[4]- فلا يمكن أن يتغيّر عما ذهب إليه).

رأي القشيري والسهروردي

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في شرحه للأسماء الحسنى: (إن العبد لا يجوز أن يتصف بصفات ذات الحق كما زعم بعضهم: أن العبد يكون باقياً ببقاء الحق، سميعاً

شيوخ هؤلاء الحلولية، حتى إن أحدهم إذا أُمِر بقتال العدو يقول: أأقاتل الله؟!)باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص٩٧جـ١.

(١) سبق ذكر الحديث والرد على استدلال الصوفية به على معتقدهم.

(٢) أي شارح التائية.

(٣) هذا البيت هو:

وكيف وباسم الحق ظل تحققي ..... تكون أراجيف الضلال مخيفتي

(٤) من هذا الغير؟ إن كان خلقا فقد أقروا بأن الحق غير الخلق وهذا نقيض دعواهم، وإن كان هو الحق نفسه فقد أثبتوا أن ربهم يغاير نفسه، محتاج إلى من يمنحه الثبوت والوجود، وهذا أيضا نقيض دعواهم فهم ينكرون الغيرية ويسمونه الوجود المطلق.

بسمعه بصيراً ببصره[1]، وهذا خروج عن الدين، وانسلاخ عن الإسلام بالكلية، وهذه البدعة أشنع من قول النصارى: إن الكلمة القديمة اتحدت بذات عيسى عليه السلام، وهي توازي قول الحلولية).

وقال السهروردي في الباب الحادي والستين من عوارفه في الكلام على المحبة، ما حاصله: (إن المحبة التَّخَلُّقُ بأخلاق الله، ومن ظن من الوصول غير ما ذكرنا أو تخايل له غير هذا القدر، فهو متعرِّضٌ لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت[2]) وقال: (علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة[3]).

وحدة الأديان عند ابن الفارض

وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث -وهو الاتحاد بين جميع الكائنات، وأنه لا غير ولا غيرية في شيء من الوجود- فرَّع صحة كل دين[4]؛ لأن الفاعل عنده إنما هو الله، الله، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه[5] باطل، فصار المحامي له[1] خاذلا

---

(١) يعني: ما يدين به بعضهم وهو أن سمع الله وبصره عين سمع العبد وبصره، إذ الحق عندهم عين الخلق.

(٢) انظر: ص ٣٥٣ عوارف المعارف ط العلامية.

(٣) ص ٣٦٢ عوارف المعارف.

(٤) هذا قول حق، فالصوفية آمنوا بوحدة الأديان -سماويها ووضعيها- لإيمانهم بوحدة الوجود، فرب الصوفية عين المسلم وعين المشرك وعين المجوسي، ولذا قالوا: الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية، ولذا أيضا قالوا بنفي العذاب في الآخرة، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه!.

(٥) في الأصل: عدا.

خـــاذلا لمن ينصره[2]، فإن من كفّر ابن الفارض ساع جهده في نصر دين الإسلام، وتأييد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وأغلب المحامين له يعتقدون أن دين الإسلام - القائل بضلال ما عداه- هو الحقُّ، ويسعون في نصر من يُصّوِّب كل ملة، ويُصَحِّح كل نِحْلة، وهم لا يشعرون أنه قال [بتصويب] جميع الأباطيل.

ابن الفارض يُصَوِّب جميع الأديان الباطلة

وإن عبدالنارَ المجوسُ - وما انطفت ... كما جاء في الأخبار -من ألف - حِجَّة
فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم ... سوايَ، وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوءَ نوري مرة فَتَوَهَّمُو ... هُ نارا، فَضَلُّوا في الهُدى بالأَشِعَّة
وإن خَرَّ للأحجار في البُدِّ[3] عاكف ... فلا وجَهَ[4] للإنكار بالعَصَبِيَّة
فقد عبد الدينارَ - معنى - مُنَزَّهٌ ... عن العار بالإشراك بالوثنية
وإن نار بالتنزيل محرابُ مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكلُ بَيْعَةِ
وأسفارُ نَوراةِ الكليم لقومه ... يُنَاجِي بها الأحبارُ في كل ليلة
وما احتار من للشمس - عن غِرَّةٍ[5] - صَبَا
وإشراقها من نور إسفارِ غُرَّتي

---

(١) أي: لابن الفارض.
(٢) أي: لمن ينصر الإسلام.
(٣) في الأصل: فلا تعد بالإنكار، وهي كما في الديوان.
(٤) بهامش الأصل (البد): بيت الأصنام وهو صحيح.
(٥) في الأصل: غيره.

وقد بَلَغَ الإنذارُ عني[1] مَنْ بَغى وقامت بي[2] الأعذارُ في كل فِرْقَة
فما زاغت الأبصارُ من كل مِلَّةٍ ولا راغت الأفكار في كل نِحْلَةِ

قال شراحه: (إنه مَهَّد في هذه الأبيات أعذار كُلِّ فرقة، وأن كل صاحب ملة ونحلة - وإن بطل سعيُه- على نصيب من الهدى، فَعُبَّادُ النار غيرُ مؤاخذين من جميع الوجوه بل من وَجْهٍ دون وجه، ولا لوم على أحد بل لكل واحدٍ وجهٌ ومحملُ خير يُحْمَل عليه، فكُلٌّ يعمل على شاكلته، وكذا عابد الأصنام قالوا: لا تُنْكِرْ عليه، فإن أنكرت لم يكن إنكارك إلا تعصبا؛ لأنك لا تنكر على المُقْبِل على الدنيا مع أنه أقوى شِرْكاً من عابد الصنم ـ وقالوا ـ: كما أن القرآن نور المساجد فكذلك الإنجيل نور المعابد، وقالوا نحو هذا في التوراة، وفي عابد الشمس: أنه بإثباته عينَ الألوهية لم يكن ناقصا، فقام له عذر من وجه من الوجوه وذلك كاف للكريم) قلت: ولا يقول بشيء من هذا مسلم[3].

معاندته للتوحيد الحق

وقد عاند التوحيد الحق في قوله:

ولو أنني وَحَّدْت أَلْحَدْتُ[4] وانْسَلَخْـ ـتُ مِنَ آيِ جمعي مُشْرِكاً بِيَ صَنْعَتي

---

(١) في الأصل: مني.

(٢) في الأصل: به.

(٣) بل لا يقول به يهودي أو نصراني، والبهائية على خبث معتقدهم ورغم أنهم امتداد [للباطنية] لا يقولون بهذا.

(٤) يرى في التوحيد الحق الذي جاء به الرسل جميعا عن الله إنه إلحاد، وهذا هو دين أكثرهم سلفهم وخلفهم، ألا تسمع عواء الصوفية تحت قباب الطواغيت، وهم يتلون صلوات ابن بشيش التي يقول فيها: (زج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع، ولا أجد، ولا أحس إلا بها) يرون توحيد الرسل أوحالا من

قالوا في شرحه: (لو أنني أثبت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب، ونَفَيْتُ كثرةَ نِسَبِه عنه كما أثبتَتْ ونَفَت المُنَزِّهَةُ[1] وبعضُ الفلاسفة، لكنتُ مائلا عن سنن الاستقامة؛ لأني أثبت لنفسي وغيري وجوداً يقابل وجودَ الحق) وهذا عين الإلحاد والشرك، فليس وراء هذا كفر، فإن كان هذا مما يفهمه المنازعُ[2]، كما يفهم الذابُّ عن الشارع، فقد علم منابذته لله ولرسوله ﷺ، وإن كان لا يفهمه، ويدعي أن له معنى حسناً، فيكفيه أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء، وهو أصول الدين الذي في الزَّلَّةِ فيه ذهاب الروح والدين، وهو معانِدٌ بمنازعته لقوله تعالى﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾[آل عمران: ٦٦]، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ١٦٨، ١٦٩]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦].

الطين، ويدعون الله أن ينشلهم منها؟ ومتى يدعون، والليل لما يهتك كله السحر عن مهده! هذا لأن التوحيد الحق يثبت لله وحده الربوبية والإلهية، أما الصوفية فيدعون أن يكون حتى الدراويش منهم أربابا وآلهة، وهذا معنى قولهم: (وأغرقني في عين بحر الوحدة) بل يريدون أن يكونوا وجودا مطلقاً: (وزج بي في بحار الأحدية).

(١) الذين ينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه، ويثبتون له سبحانه، ما أثبت لنفسه من صفات.

(٢) أي: المنازع في كفر ابن الفارض.

ويكون[1] تابعاً لمجرد العصبية وحَمِيّةِ الجاهلية، مع أنك لا تجد من يحامي عنه إلا منهمكا في الفسوق والبغي والعقوق، أو قريباً منه تبعاً له في قوله.

دعوة ابن الفارض إلى اللهو

وينبيك عن شأني الوليد وإن نشا ... بليداً بإلهامٍ كوحي وفطنة
ويعرب عن حال السماع بحاله ... فيثبت للرقص انتفاء النقيصة
ولا تك باللاهي عن اللهو جملة ... فَهَزْلُ الملاهي جِدُّ نفسٍ مُجِدَّةِ
وإياك والإعراضَ عن كل صورة ... مُمَوَّهَةٍ، أو حالة مستحيلة

قالوا في شرحه: (إن الطفل يبين بحاله من الإصغاء إلى المناغي عن حال أهل السماع والرقص، فيثبت بهذا انتفاء النقص خلافاً لما قاله المحجوبون، ولما كان سماع الطفل ورقصُه بَريّاً عن الشهوة والرئاء[2] كان مُعْرِباً عن صحة حال سماع الواجدين، ورقصهم[3] وهزل الملاهي جِدُّ نفس مُجِدَّة، فلا تكن غافلاً عنه، فإنه من الأسماء الإلهية،

---

(١) أي: المنازع في كفر ابن الفارض. وهو معطوف على قوله قبل: يخوض بالجهل.

(٢) في الأصل: الرئا.

(٣) يدعو ابن الفارض إلى إرضاء شهوات النفس بالرقص والغناء! بل يوقن أن الرقص والغناء فيض إلهي يجب أن تتلقاه أرواح العارفين بالبهجة والنشوة!! وأمس كان يدعو عبد المرأة والشهوات إلى مثل هذا فيستنكر منهم هذا الإثم بعض العلماء، وتثور بها بعض الجماعات الدينية، بل - واعجب معي بعض الصوفية، غير أنهم إذا قيل لهم: إن ابن الفارض شيطان هؤلاء، وداعيتهم إلى التلطخ بهذه الردغة، أقلقوا مضاجع الليل بالاستغفار أَنْ ذُكِرَ سلطان العاشقين أمامهم بسوء!! في حين أن دعوته أدهى شرا ممّا يدعو إليه المجّان عبيد الغواني، فهو يصور الرقص والغِناء على أنّه يصل العارف بالملأ الأعلى ويجعل اقتراف ذلك الإثم مظاهر تبتل، ومحراب تأله وتعبد، على حين يصفها المجّان بأنها علائم حضارة، ودلائل مدنية! فأي الدعوتين أطغى شرا، وأخبث كفرا؟

وما يفيض من الحق إلا ما هو حق لا باطل.

ابن عربي يدّعي أن الباطل إله

ولذلك قال ابن عربي: (لا تنكر الباطل في طَوْرِه، فإنه بعض ظهوراته)[1] فقد أفاد هذا أنهم يعتقدون: أن الباطل هو الله، ولو لم يكن في هذا [2] إلا أنه يدعو إلى البطالة والخلاعة والضلالة، لكان كافياً في استهجانه ومنابذته للدين.

وقد نقل شيخنا حافظ العصر ابن حجر في لسان الميزان أنه كان لهذا الناظم جَوارٍ في البهنسة موظفات للغناء والضرب بآلات الملاهي، وكلما ماتت واحدة منهن اشترى بدلها أخرى، وكان يذهب إليهم في بعض الأوقات، فيسمعهن، ويرقص على غنائهن، ويرجّع[3].

المناضل عن ابن الفارض

فالمناضل عنه مسارع إلى شكله، ومضارع لمن كان فعله كفعله، كما قال علي ﷺ بعد قدومه الكوفة بثلاثة أيام: (قد عرفنا خياركم من شراركم، قالوا: كيف؟ وما لك عندنا إلا ثلاثة أيام! قال: كان معنا خيار وشرار، فانضم خيارنا إلى خياركم، وشِرارنا إلى شراركم) وحديث: (الأرواح جنود مُجَنَّدة)[4] الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أعدل

---

(١) أي: بعض تعينات الله، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيرا.

(٢) يعني: كلام ابن الفارض.

(٣) وليس فوق الكفر ذنب.

(٤) نص الحديث: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)ولم يروه الشيخان -كما ذكر- عن أبي هريرة، وإنما رواه عنه مسلم وأبو داود، أما البخاري، فرواه عن عائشة رضي الله عنها.

شاهد لذلك ويتعين على كل مسلم إنكار ما أنكره الشرع من مثل هذا.

قوله يوجب إراقة دمه

وقد اعترف هو أن ما قاله موجب لإراقة الدم، وأنه قاله في الصحو والإفاقة لا في السكر والجذبة، فقال:

وَثَـمَّ أمـورٌ تَـمَّ لي كشـف سِـتْرِها بِصَـحْوٍ مُفِيـقٍ عـن سـواي تَغَطَّـتِ
بهـا لم يَـبُحْ مـن لم يـبِحْ دمـه وفي الـ إشـارة معنـى مـا العبـارة حَـدَّت

قالوا في شرحه: (أي انكشفت لي أمور وأسرار بواسطة الصحو الذي حصل لي بعد السكر، وهي متغطية عن غيري من المحجوبين، ولم يُظْهر تلك الأسرار إلا من أباح دمَه للمحجوبين[1]، فإنهم يقتلون العارفين الذين باحوا بأسرار التوحيد[2])وصَرّح بأن ما يقوله حقيقة لا مجاز، فقال:

عليهـا مَجَـازِيٌّ سـلامي، فـإنما[3] حقيقتُـه: مِنِّـي عَـلَيَّ تحيتـي

قال الشراح: (أي: على حضرة المحبوبة سلامي في قولي: التحيات لله .... إلخ مجاز لأنها عيني، لا غيري، فحقيقة السلام مني، وإليّ) وقد مَثَّلُوا كون التَّشَخُّص مجازيّاً، والإطلاق حقيقيّاً بأن الروح الكُلّي الذي هو الإله عندهم كالبحر، والأشخاص الناشئة

---

(١) يعني: المعتصمين بكتاب الله، والمستمسكين بظواهر الشريعة المؤمنين بالله وحده ربا، وبالخلق عبيداً لله رب العالمين.

(٢) أسرار التوحيد عندهم: اعتقاد أن الله سبحانه عين خلقه، وعن هذه المرتبة يقول الغزالي: إنها سر، وإفشاء سر الربوبية كفر.

(٣) في الأصل: لإنما، وهي في الديوان كما أثبتّها.

عنه مثل البخار الصاعد من صورته البخارية ثم في صورته السحابية، ثم يرجع إلى الماء، ويختلط بالبحر، فيصير إياه، وهو بخار وسحاب حقيقة، وتلك الصورة العارضة مجاز[1]!!

فأين هذا الانهماكُ في اللذة قولاً وفعلاً، والانقياد للهوى عقداً وحلاًّ، من رتبة الولاية التي يدعيها المتعصبون له، التي من شرطها الإعراض عن الانهماك في اللذات الدنيوية ومن رتبة الولاية التي يدعيها هو؟!

ومن هنا تعلم أنهم[2] لا أرضوه، ولا أرضوا الله ورسوله ﷺ، ولا أحداً من المؤمنين، فإنه هو لا يرضى إلا أن يكون خليعاً، وهم يقولون: متقيِّد، وهو يقول: أن ما قاله مبيح للدم، وهم يقولون: لا يبيحه، وهو يقول: إنه عاقل صاح، وهم يقولون: مجنون

---

(١) مراده من هذا: إثبات أن المغايرة بين الحق والخلق مغايرة وهمية، أو اسمية، أو صورية، ويشبهها بالمغايرة بين الماء المطلق، وبينه في حال تعينه بصورة بخارية، أو سحابية. فالكل حقيقة واحدة، هي الماء، ولكنها تعينت مرة في صورة بخار، وأخرى في صورة سحاب، وكذلك الذات الإلهية عندهم، فإنها هي وذوات الخلق واحد في الحقيقة، كثير بالاعتبار، فهوية الحق قبل التعين تسمى وجودا مطلقا، أو حقا، ثم سميت خلقا بعد التعين، فهما واحد في الحقيقة، غيران بالنسب والإضافات. يقول التلمساني:

البحر لا شك عندي في توحـــــده ..... وإن تعـــدد بالأمـــــواج والزبـــد =

= فلا يغرنك ما شاهدت من صـــور ..... فالواحد الرب ساري العين في العدد

وأقول: هذا المثل حجة على الصوفية، فالماء لا يصير بخارا من نفسه، بل بتأثير شيء آخر خارج عنه يخالفه في حقيقته: هو الحرارة، وكذلك في صيرورته سحابا، فالمؤثر في هذه الصيرورة شيء غير الماء يخالفه في الحقيقة، فالمثل إذاً يثبت وجود غَيْرَيْن هما غير الماء حقيقة وصورة. والملحدون ينكرون الغيرية والكثرة، والمثل كما رأيت يثبتهما، ويثبت أيضا أن الماء في صيروراته يخضع لمؤثر خارجي، وهذا يستلزم كون الرب عند الصوفية يتأثر بغيرٍ حقيقي خارجي. فما ذلك المؤثر، أو من هو؟

(٢) يعني: شرّاح التائية.

سكران، وهو يقول: إن ما قاله: حقيقة، وهم يقولون: مجازاً [1]، ولا يقدرون على تخريجه على المجاز وهو لا يرضى إلا أن يكون هو الله، وينهى عن ذكره بِغَيْرٍ.

ابن الفارض يزجر عن تكنيته أو تلقيبه بدعوى اتحاده بالله

وَأَلْـغ الكُنَـى عنـي ولا تلْـغُ أَلْكَنَـا[2] بهـا، فهـي مـن آثـار صـيغة صَـنْعَتي
وعـــن لقبـــي بالعـــارف ارجـــع فـــإن تـــرى التَّـــ
ـنَـــــــابُذَ بالألقـــــــاب في الـــــــذِّكْرِ تُمْقَـــــــتِ

قال شراحها: (أي: أسقط الكُنَى عني ولا تستعمل اللغو في إطلاقها على حال كونك عَيِيًّا[3] عن الكلام في تعريف مقامي، فإنها من آثار مصنوعاتي، إذ الإنسان صاغها، وهو من جملة مصنوعاتي التي أوجدتها، وارجع عن إطلاقك عليَّ اسم العارف؛ لاتحادي بذات من لا يُطْلَق عليه هذا الاسم).

فلم يَدَعْ جهدا في زجرهم عن تسميته بالعارف، ولم يَدَع النبي ﷺ لَبْسَاً في أمرهم بتكفيره، وهم[4] يعصون كُلاًّ من الأمرين، ولا يرجعون عن شيء من النهيين، فيا خسارتهم بما ضرُّوا به أنفسهم فيما لا ينفعهـــم، كما قال تعالى فيمن يعبد الله على حَرْف:

---

(١) الحق أن أكثر الشراح للتائية يدينون بأن قول ابن الفارض في الاتحاد والوحدة حقيقي، لا مجازي. والقائلون بالمجاز قلة من مخادعي الصوفية خشية على السحت الذي يأكلون به مال اليتامى والأيامى.

(٢) لا تلغ: لا تكلم باللغو. والألكن: الثقيل اللسان في التكلم.

(٣) في الأصل: عيباً.

(٤) أي: اتباع ابن الفارض.

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج: ١٢، ١٣].

دعوى ابن الفارض المعراج

وادعى العروج إلى الله، والوصول إلى مَقَامٍ: (أو أدنى)[1]، فقال:

ومِنْ أنا إياها، إلى حيث لا إلى عرجتُ، وعَطَّرْتُ الوجود برجعتي

قالوا في شرحه: (عرجت من مقام: أنا إياها -وهو ابتداء الاتحاد- ومن قولهم: أنا الحق[2]، ولا إله إلا أنا فاعبدني[3]، إلى أن وصلتُ إلى مقامٍ لا نهاية فيه، وعطر الوجود برجوعه، لاتصافه بصفات الرحمن[4]، واتحاده بذات الملك الديان).

---

(١) يقرر المؤلف ما زعمه ابن الفارض من العروج إلى السماء، ووصوله إلى مقام (أو أدنى) كما في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ويعني به ابن الفارض: الدنو من الله، لا من جبريل كما هو الحق. والكمشخانلي الصوفي يشرح هذا المقام في كتابه: جامع الأصول في الأولياء، فيقول: (هو مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي، المسمى: بدائرة الوجود، كالإبداء والإعادة والعروج والفاعلية والقابلية، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والاثنينية =

= الاعتبارية. هناك الفناء المحض، والطمس الكلي للرسوم كلها) ومن هنا تدرك لم ادعى ابن الفارض أنه وصل إلى هذا المقام ثم رجع منه، إذ لم يرتض حتى الاثنينية الاعتبارية، أو بقاء التمييز بينه وبين الله سبحانه بوجه ما. وكيف يرتضيه وهو يفتري أنه هو الله ذاتا وصفة وخلقا؟!

(٢) كفر الحلاج.

(٣) قول طيفور الشهير بالبسطامي عن نفسه.

(٤) يزعم أنه عاد من مقام أو أدنى -وقد ذكرت مرادهم منه- رحماناً وقد اختاروا تسميته بهذا الاسم بالذات، لأن الرحمن عندهم: (اسم الحق باعتبار الجمعية الأسمائية التي في الحضرة الإلهية: الفائض منها الوجود وبقية الكمالات على جميع الممكنات) فهو مرادف للوجود المطلق، وقد سبق البيت الذي نقله المؤلف عن ابن عربي من الفصوص، والذي يقول فيه:

والبيت الذي بعده اشد كفراً[1]، ثم قال:

ولي عن مُفِيض الجمع عند سلامه عَلَيَّ: بِأَوْ أَدْنَى إِشَارَة نِسْبَةِ

قالوا في شرحه: (إنه لما فَنِيَ في النبي ﷺ، ثم بقي به حِصَّة بمشاركته في قبول عين السلام من حيث عين ذلك المقام -وهو مقام: أو أدنى- فإنه جَلَّ جناب هذا المقام من أن يَطَّلِع عليه إلا واحدٌ بعد واحد، فالواحد السابق هو ﷺ، والواحد اللاحِقُ به[2]:أنا إن شاء الله تعالى من جهة غرقي في لُجَّيته) انتهى.

فكن حقا، وكن خلقا ..... تكــن بالله رحمـــانا

وهكذا يتغالى الصوفية في الزندقة حتى ليأبى الواحد منهم أن يقال عنه: إنه إله تعين في صورة خلقية، ولا يحب إلا أن يقال عنه: إنه هو الوجود المطلق، أو هوية الحق قبل أن تتعين في شيء ما، حتى في الحقيقة المحمدية.

(١) هذا البيت هو.

وعن أنا، إياي لباطن حكمة ..... وظاهر أحكام أقيمت لدعوتي

ويريد الزنديق بهذا: أنه نال كل مراتب التوحيد، حتى بلغ المرتبة الأخيرة منه فالأولى: فناء عين التفرقة وبقاء أثرها. وصاحب هذه المرتبة يقول: أنا الحق، أو أنا الله. ولكن هذه قضية ذات محمول وموضوع، والحمل يستلزم الاثنينية نعم هو حمل صوري لأن المحمول عين الموضوع.=

= ولكن اختلاف لفظيهما يوهم الغيرية. لذا يرفض الزنديق هذه المرتبة. الثانية: فناء التفرقة عينا وأثراً، وصاحب هذه المرتبة يقول: أنا أنا. ولكن ما زال ثم قضية فيها محمول وموضوع ولذا يرفض الزنديق هذه المرتبة أيضا. الأخيرة: وهذه لا تسعف فيها العبارة، ولا تومئ إليها إشارة، وغاية ما يستطيع العارف عندهم هو أن يقول عن نفسه: أنا فحسب، غير مدرك بإدراك ما، ولا شاعر بشعور ما: أن هنالك ما يمكن أن يحمل عليه، أو يوضع له، إذ ما ثم غير ولا سوى. هذا هو مراد الزنديق. غير أنه يزعم أنه رضي وتنزل إلى مرتبة التعين في الخلق، ليبرز مكنون قدرته، وإمكانيات وجوده المطلق الأول.

(٢) يعني: ابن الفارض لأنه يتكلم بلسانه.

وقال عياض في أواخر الشفاء: وكذلك - أي: يكفر - من ادَّعى مجالسة الله تعالى، والعروج إليه، ومكالمته، أو حلوله في أحد الأشخاص، كقول بعض المتصوفة[1].

حكم من كَفَّر ابن الفارض

وأما من أنكر عليه لأمثال ما رأيته من الألفاظ الصريحة بالنص في الكفر، فلا شيء عليه بإجماع المسلمين بقاعدة من كَفَّر مسلما مُتَأَوِّلاً، فلا أضل ممن ترك طريقاً مضمون السلامة، واتبع طريقاً أخف أحواله أنه مظنون العطب والملامة ودَرْءُ المفاسد أولى من جلب المصالح، على تقدير تسليم أن يكون لهم فيما هم فيه مصلحة، وليس فيه - والله - مصلحة بوجه، فقد اعترف كل من يحامي له أن ظاهر كلامِهِ منابذٌ للكتاب والسنَّة، وإلا لما احتاجوا إلى ادعاء تأويله، مع أن الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الذي ما سلك فَجّاً إلا سلك الشيطان فجا غير فجه[2] - قد أنكر التأويل لغير كلام المعصوم[3]، ومنع منه ﷺ، وأرضاه، وأهلك كل من [طعن فيه]، وبسيف الشرع قتله وأخزاه، فقال فيما رواه عنه البخاري في كتاب الشهادات من صحيحه: (إن أناسا كانوا

---

(١) ص٢٩٨ جـ٢ الشفاء ط تركيا.

(٢) إشارة إلى الحديث المتفق عليه بين البخاري ومسلم، وفيه: أن النبي ﷺقال لعمر: (إيها يابن الخطاب! والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك) والفج: الطريق الواسع، أو المكان المتخرق بين الجبلين.

(٣) بل ما ثبت عن عمر، ولا عن غيره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تأويلهم لشيء ما من كلام المعصوم، وإنما كان الجميع يفهمون ما جاءهم عن الله ورسوله بمعانيه التي هي له في لغة العرب، لا بما اصطلحت عليه الفلسفة أو التصوف أو الكلام. فما عرف شيء من هذه الضلالات في عهده، ولا في عهد أصحابه. وقريب من الذكر تلك الضربات الهادية الشافية التي أنزلها عمر على رأس من جاء يسأله عن معنى الذاريات، إذ استشعر من وراء السؤال فكرا [متكلّفاً].

يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر خيراً أَمِنَّاه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة). وقد أخذ هذا الأَثَرَ [بعض] الصوفية، منهم صاحب العوارف استشهد به في عوارفه، وجعله من أعظم معارفه، فمن خالف الفاروق ﷺ كان أخف أحواله أن يكون رافضياً خبيثاً، وأثقلها أن يكون كَفَّاراً عنيداً، وهذا الذي سماه الفاروق ﷺ (ظاهراً): هو الذي يُعْرَف بالصريح، وهو ما قابل الكناية والتعريض، وقد تبع الفاروق ﷺ على ذلك سائر العلماء، لم يخالف منهم أحد كما نقله إمام الحرمين[1] عن الأصوليين كافة، وتبعه الغزَّالي، وتبعهما الناس. وقال الحافظ زين الدين العراقي أنه أجمع عليه الأمة من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح، وكذا قال الإمام أبو عمرو ابن عبد البر[2] في التمهيد، وأصَّله إمامنا الشافعي ﷺ في كتاب الرسالة لقول النبي ﷺ: ((إنكم تختصمون إليَّ، ولعل أحدكم أن يكون أَلْحَن[3] بحجته، فأقضي له)) الحديث رواه الستة عن أم سلمة

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي الجويني من زعماء الأشاعرة. ولد سنة ٤١٩هـ ولقب بإمام الحرمين. لأنه جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي. توفي سنة ٤٧٨هـ.

(٢) هو يوسف بن عبد البر بن محمد حافظ المغرب. قال عنه ابن حزم (لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله). ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ.

(٣) أي: أبلغ بها، ونص الحديث: ((إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع،، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، فلا يأخذ منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من النار))، فأين من هذا الهدى والحق ضلال الصوفية وباطلهم، إذ يزعمون أن حقائق الأشياء تنكشف لهم على ما هي عليه، وأنهم يتصرفون في

رضي الله عنها في أمثال كثيرة، وقال الأصوليون: (كافة التأويل - إن كان لغير دليل- كان لعباً، وما يُنْسَب إلى بعض المذاهب من تأويل ما هو ظاهر في الكفر، فَكَذِبٌ أو غلطٌ منشؤه سوء الفهم، كما بينت ذلك بياناً شافياً في غير هذه الرسالة، وإنما أَوَّلنا كلام المعصوم[1]؛ لأنه لا يجوز عليه الخطأ، وأما غيره، فيجوز عليه الخطأ سهواً وعمداً.

[حكم] المتوقف في تكفير [الملحدين]

ولا يسع أحداً أن يقول: أنا واقف أو ساكت، لا أُثْبت ولا أَنْفِي؛ لأن ذلك يقتضي الكفر؛ لأن الكافر من أنكر ما عُلِم من الدين بالضرورة، ومن شَكَّ في كُفْرِ مثل هذا كَفَر. ولهذا قال ابن المقري في مختصر الروضة: (من شك في [كفر] اليهود والنصارى وطائفة [ابن[2]] عربي فهو كافر).

وحكى القاضي عياض في الباب الثاني من القسم الرابع من الشفاء: (الإجماع على كفر من لم يُكَفّر أحدا من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين، أو وقف في تكفيرهم، أو شك. قال القاضي أبو بكر: لأن التوقيف والإجماع [اتفقا[3]] على كفرهم، فمن وقف في ذلك، فقد كذَّب النص أو[4] التوقيف، أو شك [فيه[5]] والتكذيب، أو الشك

البواطن، وأن شيوخهم يتكلمون عن سرائر [مريديهم].

(١) هذا على نهج من يأخذون بالتأويل.

(٢) ليست بالأصل والسياق يوجبها.

(٣) ساقط من الأصل، وأثبته عن الشفاء.

(٤) في الأصل: و. وهي في الشفاء كما أثبتها.

(٥) ساقط من الأصل، وأثبته عن الشفاء.

فيه لا يقع إلا من كافر[1]) انتهى.

وقال الإمام حافظ الدين النسفي في كتابه العمدة في أصول الدين: (التوقف باطل لاقتضائه الشك، والشك فيما يفترض اعتقاده كالإنكار). ومن العجب أنهم يعاندوننا، لأننا لا نُؤَوِّل لمن يجوز عليه الزلل، وينصرون من يتعصبون له، وهو[2] لا يؤول المتشابه من كلام المعصوم، بل يجريه على ظاهره[3] خلافاً لإجماع الأمة[4] مع تأدية ذلك إلى إبطال الشرع، ويدَّعون الإسلام، فما أحقهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[النساء: ٨٨، ٨٩]. إلى

---

(١) ص ٢٦٧ جـ ٢ الشفاء.

(٢) يعني: ابن الفارض.

(٣) كان واجباً أن يقول: بل يجريه على ما يشهد الحس له من مظاهر بالنسبة إلى الخلق، أو على =
= ما يشاء الهوى الصوفي، فابن الفارض لا يقترف هذا، فحسب، بل يجرد اللفظ من دلالته ومعناه في العربية، ويفتري له معنى يهدف به إلى مساندة زندقته، وأحياناً يفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض كمن يفصل (لا إله) عن (إلا الله). وأحياناً يقيس شأن الخلاق الخبير على شأن خلقه، ويحكم على الرب بما يحكم به على العبد، ومثاله ما افتراه من أن الله سبحانه يتلبس بصورة الخلق قياسا على شأن جبريل حين ظهر بصورة دحية والأعرابي. هذا بعض ما يمسخ به [الملاحدة] وجه الحق!

(٤) قوله هذا يجافي الحق، ويجانب الصواب، فالإجماع الذي يعتد به -إن كان لا بد مع النص إجماع- هو إجماع الصحابة والتابعين. وقد أجمع هؤلاء جميعا -ومن بعدهم الأئمة المهتدون- على إجراء ما تلقوه عن الله سبحانه ورسوله ﷺ على ظاهره، أي: على ما له من دلالة ومعنى في العربية، إذ لا يراد بالظاهر غير هذا، أما أن يراد بالظاهر كيفياته الحسية، فهذا ليس من دين أهل الحق، ولا من الحق في شيء. أقول هذا لأن البقاعي يعني بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها، وهذا رأي ساقط الاعتبار، لم يدن به إلا [أهل الكلام].

هذا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام حملة[1] شريعته من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ دَعَوْنا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

الرأي في شعر ابن الفارض

وأما المحامون له، فإنهم داعون إلى شاعر لم يُؤْثَر عنه قط شيء غير ديوان شعر لم يمدح النبي ﷺ فيه بقصيدة واحدة، بل هو كُفْرٌ وضلالة وخلاعة وبطالة، وقد علم ذم الله وذم رسوله ﷺ للشعر والشعراء إذا كان حالهم مثل هذا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]، وقال النبي ﷺ كما رواه الستة عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً [حتى يَرِيَهُ[2]] خير من أن يمتلئ شعراً[3]» وذلك إذا انفرد بالشعر كهذا الرجل، فإنه ليس شيء ينفع الدين أصلاً،

---

(١) في الأصل: جملة، والسياق يوجب ما أثبته

(٢) يري من الورى، وهو داء يفسد الجوف. وهذه الزيادة لم ترد في رواية أبي داود. وهي كذلك ساقطة من الأصل.

(٣) لم يروه الستة عن ابن عمر، وإنما رواه البخاري عنه، ورواه الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة. والمقصود والله أعلم: الشعر الذي يمجد الرذيلة، ويفسد الخلق والدين، وينابذ الشريعة، ويصرف النفس عن الحق من الكتاب والسنة. أما الشعر الذي يستلهم الإيمان والحكمة، ويصور المثل العليا، ويمجد قيم الحق والخير والمحبة، ويستحث النفوس على الجهاد في سبيل الحق، هذا الشعر من هواتف النفس المؤمنة، وليس بذي مذمة ولا مبغضة، ودليلي

وليس له من الشعر إلا ما عادى به الإسلام وأهله، وآذَاهم غاية الأذى، وأوقع به بينهم[1] العداوة والبغضاء؛ لأنه ملأه كفراً وخلاعة، وصَدّاً عن الدين وشناعة، فقد حادَّ به الله ورسوله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فنحن في غاية السلامة إن شاء الله تعالى، لما قدمت. وأما من يحامي عنه، فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه، وذلك هو الكفر المُوجِبُ للسيف في الدنيا، والخلود في النار في الأخرى، وبين الذَّبِّ[2] عنه مع الجهل لما قال، وذلك موجب لموادَّة من حادَّ الله ورسوله ﷺ الموجبة لعداوتهما الجارَّةِ إلى كل شقاء.

قول الرسول ﷺ: « إن من الشعر حكمة » رواه البخاري وأبو داود عن أبي بن كعب، ورواه الترمذي عن ابن مسعود، وأيضا ما روته عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله ﷺ، كان يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما، ينافح عن رسول الله، ثم يقول: « إن الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح -أو فاخر- عن رسول الله »، أخرجه البخاري -واللفظ له- وأبو داود والترمذي، كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

(١) يعني: بين المسلمين.

(٢) في الأصل: الذنب. والسياق يوجب ما أثبت.

تواتر الخبر بتكفير العلماء لابن الفارض

هذا مستندنا، وهو قطعيٌّ[1] من جميع وجوهه؛ تواترَ لنا تواتراً معنوياً نسبة العلماء له إلى الكفر، وتواتراً حقيقياً أن التائية نظمه، ونحن على القطع بأنها صريحة في القول بالاتحاد بالذات والصفات، وما يتبع ذلك من تصويب جميع المِلَل والنِّحَل إن لم يكن نَصّاً فيه، وعلى القَطْع بأن ذلك كُفْرٌ، والقائلَ به كافر، وقد انتقيت من التائية ما يقارب أربعمائة وخمسين بيتاً شهد شراحها البررة والكفرة أن مراده منها صريح الاتحاد، وما تفرع عليه من تصويب جميع الأباطيل في مجلد سميتُه الفارض[2].

---

(١) في الأصل: قطيعي. وهو خطأ في النحو.

(٢) ورد بهامش الأصل ما يأتي: (قال المصنف رحمه الله في كتابه: الفارض في تكفير ابن الفارض: ثم إنه لا ينبغي الاغترار بما قاله ابن بنته في ديباجة الديون فإنه رجل مجهول لا تقبل روايته، ولا سيما وهو يشهد لجده، ولا سيما إذا كانت شهادته مخالفة بشهادة الأئمة بكفره، وعلى تقدير صحة ذلك لا يدل على صلاح إلا إن كان الجاري ذلك على يده متابعاً للكتاب والسنة، فإن =
= الخوارق ربما كانت لكفره امتحاناً من الله لعباده، وينبغي لكل مسلم أن يجعل قصة الدجال نصب عينيه، فإنه يظهر على يديه من الخوارق شيء كثير مع علمنا بأنه أكفر الكفرة، فأي لبس بعد هذا؟ مع أنه قد كثر ضلال [العامة] بمن ظهر على يديه شبه خارقة، وقد علم أن ذلك قد يكون من الشياطين، وقد ضبط العلماء -ولله الحمد- أمر الخوارق وبينوا حقه من باطله، فمن ظهر على يده شيء من الخوارق. وكان مؤمناً بالله وصفاته مواظباً [على] الطاعات، مجتنباً للمعاصي. معرضاً عن الانهماك في الشبهات والشهوات. فذلك ولي، والخارق كرامة. وما كان على يد مخالف للشرع فهو إهانة له بالاستدراج له، و[لا] يغتر به. هذا الدجال نشهد أنه أكفر الكفرة مع أنه تظـ[هر على] يده الخوارق العظيمة. منها مسير جبال الثريد معه وو.. الأرض كذلك. ومنها تمثل الشياطين بصور أقارب من [أراد الله] فتنته يدعونه إلى متابعته. ومنها. أنه يقول للشمس: قفي [فتقف] ويقول لها: سيري فتسير. ويقول للسماء: أمطري. فتمطر. وللأرض: أنبتي: فتنبت. إلى غير ذلك ممن يضل الله به من [يشاء من] عباده، وأعظمه إحياء ميت) انتهى من هامش الأصل: وما بين هذين [ ] ساقط من الأصل، ورأيت السياق يوجبه

لا عبرة بقول حفيد ابن الفارض

ولا مستند لمن ينابذنا إلا ما أثبته ابن بنته في ديباجة الديوان من الزور والبهتان، وهو نكرة لا يعرف، ولو أنه شهد على أحدهم بدينار لم تُقْبَل شهادته حتى يُعَدِّلَه العدولُ الموثوق بهم، ولا مُعَدِّلَ له، ولا لجده، ممن هو خبير بحالهما أصلا، فصار المحامون له لا مُسْتَنَدَ لهم إلا سند قريش في منابذة النبي ﷺ في التوحيد حين قالوا: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٧]، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾} [المائدة: ١٠٤]، ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

وكل من هكذا يوشك أن يقول عند سؤال الملكين في قبره ما قال رسول الله ﷺ عن المنافق، أو المرتاب: «هاه [هاه][1]، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً، فقلته» على أنه لو ثبت ما في ديباجة الديوان لم يُفِدْ ولاية، فإن العلماء قسّموا الخوارق إلى معجزة

فأثبته. وأقول: حديثه عن الخوارق تظهر على يد الأولياء حديث القرون التي كانت تعيش تحت سطوة التهاويل، إنما الكرامة هي أن يكون الله مع عبده المؤمن نصراً وتأييداً وحفظاً.

(١) وردت مرة واحدة في الأصل، بيد أنها ذكرت مرتين في الحديث الذي رواه أبو داود عن البراء بن عازب (وهاه هاه) كلمة تقال في الضحك وفي الإيعاد، وللتوجع. وهو أليق بمعنى الحديث كما قال المنذري، وحديث السؤال في القبر أخرجه -غير أبي داود- الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو حاتم.

وكرامة، ومعونة وإهانة. وأشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة ﷺ في الفقه الأكبر، انظر إلى ما ورد للدجال من الخوارق[1]، وهو أكفر الكفرة.

بم يكون الإنسان وليّاً؟

إنما يفيد الولايةَ بذل المجهود في متابعة النبي ﷺ، فمن بذل جهده في اتباع السنة، قلنا: إنه ولي، فإن [خَتَل أحد من المخدوعين] أحداً ممن ظهر له الحق بقوله: التسليم أسلم! فليقل له: هذا خلاف ما أمر به صاحب الشرع ﷺ في الكتاب والسنة: من جهاد أعداء الله، والبغض في الله، من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ المتفق عليه في تسليته عن التخلف عن أصحابه بمكة: «ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويُضَرَّ بك آخرون» على أن التسليم لأهل الشريعة وأهل الطريقة[2] المجمع عليهم الذين رموا هذا الرجل بالكفر، ورأسهم الفاروق ﷺ بمنعه من التأويل أجدرُ بإيجاب السلامة. وقد قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما: (إن لم تكن الفقهاء أولياء لله، فليس لله ولي[3]) نقله عنهما النووي في تبيانه عن الخطيب البغدادي، ودليله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ

---

(١) ما سيظهر على يد الدجال أخبرنا به المعصوم، وإنه لفتنة سيبتلي بها الله عباده ويميز بها بين المؤمن والكافر، أما ما يزعمه هؤلاء، فلم يروه إلا كذاب، أو ملحد، أو مبتدع، وإنها لشعبذة يقترفها أولئك ابتغاء سلب مال أيم، أو أرملة، أو يتيم! ولا ينخدع بها إلا النوكى مخابيل الأحلام.

(٢) لا. بل الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة، والتسليم لهما، وتأييد كل من يذود عنهما، ثم مَنْ أهل الطريقة؟! أليسوا هم أولئك الأدعياء الكذبة الذين ابتدعوا هذه البدع الصوفية كلها، تأييداً [الفلاسفة الباطل]؟

(٣) ما من شك في أن الإمامين الجليلين يقصدان بالفقيه: ذلك المؤمن العالم الذي يستمد فقهه من الكتاب والسنة، ويبذل الجهد في سبيل دعوة المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة، لا ذلك الذي تدفعه [حميّة جاهلية إلى التعصب لمذهب] خاص، ودعوة الناس إلى الاقتداء بغير رسول الله

عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [فـــــاطر: ٢٨]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. فقد أرشد الله تعالى إلى أن الولي هو العالم، وأن العالم هو [المتبع، الداعي إلى الله على بصيرة].

دفاع وادعاء

وإن قالوا: أنت تبغض الصوفية، فقل: هذه مباهتة. إنما أبغض من كَفّره من أجمعنا على أنهم صوفية، مثل الجنيد، وسَرِيّ[1] وأبي يزيد[2]، وأبي سعيد الخراز، والأستاذ أبي القاسم القشيري، والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب العوارف، فإن بعضهم قال: طريقنا مشبك بالكتاب والسنة، فمن خالفهما فليس منا، وبعضهم جعل أثر عمر ﷺ أصلاً، وبنى عليه طريقه، وبعضهم قال: من قال: إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق، ومن قال: إن المراد بمحبة الله تعالى،

[ﷺ والتقيّد] بكتاب غير كتاب الله سبحانه [وتعالى. أما] من يسميه العامة اليوم بالفقيه [وهو مبتدع غير متبع إلا لهواه أو هوى غيره، فلا كرامة].

(١) هو سري بن المغلس السقطي، خال الجنيد. ومن قوله: (كل ما أنا فيه فمن بركات معروف الكرخي) توفي سنة ٢٥٧هـ، فهل قائل هذه الكلمة [أهل للاتّباع]؟

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامي المتوفى سنة ٢٦١هـ ومن قوله: (سبحاني ما أعظم شأني، تالله، إن لوائي أعظم من لواء محمد، ولأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة). =

= انظر ترجمة المناوي لأبي يزيد ولطائف المنن والأخلاق جـ١ ص١٢٥، ١٢٦ وعجيب من المؤلف أن يستشهد بمثل هذا الزنديق على تكفير صوفي، وهو زعيمهم الذي ألهبهم جرأة وقحة على جلال الربوبية وكبرياء الإلهية، وهو القائل أيضا: (رفعني الله مرة بين يديه وقال: إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيِّني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك) اللمع ص٣٨٢.

ووصوله إليه غير كمال المتابعة للكتاب والسنة، أو بمحبة الله غير إكرامه بحسن الثواب؛ فهو زنديق[1]، إلى غير ذلك مما حدوه، فتعداه من عاديتمونا بسببهم بل أنتم بعد [مفارقتكم المنهاج] نابذتم رسول الله ﷺ بموالاتكم من نابذ شريعته، ونحن نذب عنها وأنتم تناضلون عمن يهدمها من غير فائدة في ذلك، وتقولون: إنهم أرادوا بكلامهم الذي

---

(١) الخبير بحال الصوفية – سلفهم وخلفهم– والمتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت، وهي [خارجة عما كان عليه النبي وأصحابه]. هذا القشيري الصوفي القديم (ولد سنة ٣٧٦هـ وتوفي سنة ٤٦٥هـ) هذا هو يقول في رسالته عنهم (ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية) ص٢، ٣ الرسالة للقشيري. هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة، وإنها لتدل على أن [الملحدين] من قديم تواصوا بالكيد للإسلام، وإنا لا تخدعنا هذه الشفوف من [الجدل] الصوفي، إذ هم السم الناقع يتراءى شهداً مذاباً. فالقائلون بما هلل له البقاعي هم عين القائلين بما يخنقك منهم بحموم الزندقة، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة رسالته عن أهل الطريقة: (جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه) يفضّل الصوفية على السابقين من المهاجرين والأنصار،=

= ثم يقول: (وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق) وماذا بقي لله إذا كان هؤلاء غياثاً للخلق؟ وماذا للصحابة من الولاية والسبق بالفضل إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك؟ ثم يقول: (ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية) إذاً فهم عند القشيري أعظم مقاماً من خليل الله إبراهيم، ومن محمد عليه الصلاة والسلام؟! فتأمل في الأستاذ القشيري، وفي قوله، وفيما خلفه في رسالته، ثم اسمع إليه ينقل في رسالته: (لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا، المحبة سُكْر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه) انظر مقدمة الرسالة وص١٤٦منها. وهذه زمزمة قديمة [بفتنة الابتداع].

ظاهره قبيح غير ظاهره، ولو قال أحد من الناس لأحد منكم كلمة توهم نقصاً (كالْعِلْق) الذي قال أهل اللغة أن معناه: الشيء النفيس[1]؛ عاداه، وإن حلف له أنه ما قصد ذمّاً، وإن كرر ذلك كانت القاصمة، فتحرَّرَ بذلك أن نابذتم أهل الدين من الفقهاء والصوفيّة[2] المجمع عليهم بالتأويل في جانب الله تعالى، ومنعتم مثله في حقكم، فَأُفٍ لهذا عقلاً، فكيف بالنظر إلى الدين؟

وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها

وإن قالوا: لا تجرب بالإنكار عليه في نفسك، فليقل: وإن تركت الإنكار عليه، كنت أيضاً مجرباً في نفسي بمنابذة رسول الله ﷺ في قوله ﷺ الذي رواه مسلم عنه عن أبي

---

(١) في القاموس: (العلق: بالكسر) النفيس من الشيء.

(٢) وضع الصوفية بجانب الفقهاء من المؤلف يوحي بأن هناك طريقان: طريق الفقهاء، وطريق الصوفية، ويوحي بأن الدين فقه وتصوف، وأن الطريقين مختلفان، وأن الفقه والتصوف متغايران. فما طريق الفقهاء، وما طريق الصوفية؟! وما الفقه، وما التصوف؟! إن كان أحدهما عين الآخر بطلت التسمية، وإن كان غيره، استلزم النقص في أحدهما، أعني استلزم أن يكون أحدهما لا يمثل الشريعة الإسلامية في كل أصولها وفروعها. والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الجانب الروحي والحقائق الباطنة في الإسلام، ويدمغون الفقهاء بأنهم علماء الرسوم. في حين يقول الفقهاء عن الصوفية: إنهم يتحللون من تكاليف الشريعة بهذه الدعوى! فأي الفريقين على بينة من قوله؟ لا بد من العودة إلى الكتاب والسنة لنحكم على قيم [الإسلام] بما حدد =
= القرآن من مفاهيم لهذه القيم، وثمت نجد أمين الله جبريل يسأل الرسول: ما الإسلام؟ ثم: ما الإيمان؟ ثم: ما الإحسان؟ ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب إجابة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض، محدداً هذه الحقائق العليا تحديداً جلياً مشرقاً، فلنجعل قلوبنا ونياتنا وأعمالنا مظهراً لها في صدق وإخلاص ولندع تلك التفريعات، والتسميات [المحدثة]، لنستمد معارفنا عن الدين من الكتاب والسنة، فلا تستبد بنا حيرة، ولا يعصف بنا شك، [ولنفقه نصوص الوحي كما فقهها أئمة السّلف في القرون الخيّرة].

سعيد الخدري ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وفي حديث آخر لمسلم عن ابن مسعود ﷺ «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل[1]» وقد صرح العلماء بأن من خاف على أحد أنه يقع في هلكة يجب عليه إنذاره، ولو كان في الصلاة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

---

(١) بات المنكر عند بعض الناس هو النهي عن المنكر، ولبعدهم عن الكتاب والسنة حالت في أذهانهم قيم [الإسلام]، فالدعوة إلى الحق عندهم رغاء بالباطل، والاعتصام بالكتاب والسنة جمود ينافي قانون التطور، والمحافظة على [الفقه الأول للدّين] مادية صماء، والحكم بما أنزل الله رجوع إلى وحشية القرون الوسطى، وانتباذ لسماحة القانون الإنساني. هذا في ناحية قيم الخير، أما في ناحية الشر، فالإلحاد حرية فكرية، والعصبية المذهبية تقديس للأئمة، وعبادة [أوثان المقامات والمزارات محبة الأولياء الله ـ وهي أوثان الجاهلية الأولى منذ قوم نوح كما في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير من تفسير ابن عبّاس رضي الله عنهما يقول الله تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ ـ تقرّب إلى الله] يؤازرهم في هذا -ويا أسفاه- بعض من يسميهم الناس بالعلماء. ثم تعال، وانظر إلى ما كان يحدث من قبل: حاولت بعض الحكومات في زمن سابق تعديل قانون الانتخاب! فماذا حدث؟ قامت قيامة من يسمون أنفسهم بفقهاء القانون،=

= وتنادوا بالويل والثبور! في حين كان كثير من المبتدعة يعتدي على فهم نصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويستعبد عباد الله للهوى الظلوم الغشوم، ويقدم لطاغوت النفس الأمارة بالسوء قرابينهما من سنة مهجورة وبدعة متبعة، فلا ترى من شيوخ الضلال والابتداع غيرة لشرع الله وكتابه وسنة نبيه، بل ترى أكثرهم دعاة للباطل مخذلين عن نصرة الحقّ ـ بالرّدّ إلى الله ورسوله وإلى فقه أئمة الفقه في القرون المفضلة ـ. فيا علماء المسلمين ويا دعاة الإسلام على بصيرة: إن أسمى ما تحققون من خير هو الجهاد في سبيل أن يفهم الناس شريعة الإسلام على حقيقتها، فيؤمنوا بالخير خيراً، وبالشر شراً، وثمت يرضي الله عنكم ويرضي عنكم الناس، وفي الكتاب والسنة الحق، وهدي الدين والدنيا [وفي فقه الأئمة الأُوَل بيان لما اختلف فيه من معانيها].

على أنهم تابعون في هذا التحريف سنة الجاهلية في قولهم لنوح عليه السلام ما أجابهم عنه بما حكاه تعالى عنه في قوله: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١] ثم قولهم لهود عليه السلام، وقوله لهم ما حكاه تعالى بقوله: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦] ثم قولهم لإبراهيم عليه السلام كذلك: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٣].

وقال كفار قريش لزنيرة الرومية رضي الله عنها لما أسلمت[1] فعميت: (ما أعماها إلا اللات والعُزَّى فرد الله عليها بصرها)، وقالت ثقيف: (والله لا يستطيع أحد أن يخرب

---

(١) أسلمت في أول الإسلام، وعذبها المشركون عذاباً شديداً، فاشتراها الصديق ثم أعتقها وقد

اللات، فلما أخربوها، قالوا: والله ليغضبن الأساس) وقال اليهود لما مات أبو أمامة أسعد ابن زرارة ﷺ: (لو كان نبياً ما مات صاحبه) إلى أمثال هذه الترهات.

دفع اعتراض

وإن قالوا، استخفافاً لضعفاء العقول: إن هذا الرجل[1] له ما يزيد على مائتي سنة ميتاً، فما للناس يقلقونه في قبره؟ تلك أمة قد خلت. فقل، بعد التأسي بفعل الله بفرعون وأضرابه[2]: هذا الكلام لنا عليكم، فإنه لو كان حياً لظن أن الكلام فيه لعداوة، أو حظ من الحظوظ الدنيوية، وحيث انتفت التهم كلها، كان الكلام بسبب ما خلفه من كلامه الذي أقر الذابّون عنه أن ظاهره خبيث حتى احتاجوا إلى تأويله، فلو تركوا كلامه، تركنا الكلام فيه، فمن غض منه، علمنا أنه ما غض - مع معاداة أكثر الناس- إلا ذباً عن حمى الشريعة

عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما فقالت: وما يدري اللات والعزى من يعبدهما، إنما هذا من السماء، وربي قادر على رد بصري، فأصبحت من الغد، وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد.(عن الإصابة لابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير).

(١) يعني: ابن الفارض.

(٢) يريد: أنه لو كان ذم الموتى مذموماً مطلقاً ما ذم الله في القرآن آزر أبا إبراهيم، وابن نوح، وامرأته، وامرأة لوط، وفرعون، وهامان، وقارون، ممن حادوا الله ورسوله. أما وقد جاء في القرآن ذلك، فنعلم قطعاً أنه يجب ذم الشرك، وكل مشرك. وبيان حاله حتى نأمن من الفتنة به على غير الخبير بحاله. وما مثل كفر ابن الفارض وابن عربي وأمثالهما من الصوفية كفر. وما مثل خطرهما على المسلمين خطر. فلا يمنع هلاكهما من بيان حالهما، وذم معتقدهما، والتحذير منهما، ومن أمثالهما. وإن كانوا في توابيت من فضة، وتحت قباب من ذهب، وكان لهم ملايين الدراويش!.

خوفاً على الضعفاء من الاغترار بهذه الظواهر، ومن حامى عنه، كان ذلك قرينة دالة على أنه يعتقد ما ظهر من كلامه، وإن قالوا: « لا تذكروا موتاكم إلا بخير » رواه النسائي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً. قيل: حتى يكون من موتانا[1]، وإن قالوا: « لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا » رواه البخاري عنها أيضاً مرفوعاً. قيل: هذا إذا كان في أمرهم شك بدليل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2][المسد: ١] ونحن لم نسبّه، بل أَخْبَرْنا بما وصفه به العلماء الذي ثبتت [عدالتهم] تحذيرا من كلامه[3]، واتباعاً لحديث البخاري عن أنس ﷺ -رَفَعَه- (مَرُّو بجنازة فأثنوا عليها شراً، فقال: « وجبت » واتباعاً لإجماع الأمة في جرح من يستحق الجرح. هذا من فوائد قولنا، فليذكر الخصم للدفع عنه فائدة واحدة لنفعه أو لنفع الدين، أو أحد من المسلمين! وإن قالوا: ما لأهل زمانه ما أنكروا عليه؟ قيل: قد أنكروا عليه، كما مضى بيانه، وإن قالوا: ما لهم ما قتلوه؟ قيل:

---

(١) أي: من المسلمين الذين لم نسمع منهم في صراحة قول الكفر. ولم نر منهم في جلاء فعل الكفر. ولم يخلفوا وراءهم كتباً تطفح بالوثنية والزندقة. كأمثال طواغيت الصوفية. فإن كان من هؤلاء وجب على كل مسلم بيان معتقده، وتحذير المسلمين منه، ودمغهم بما دمغ الله به كل فاجر كفار.

(٢) يعني: لو كان ذم الموتى مطلقاً غير جائز ما ذم الله في كتابه الحكيم: أبا لهب ونحن اليوم -وقد تقضت قرون كثـيرة على هلاك أبي لهب- ما زلنا، وسنظل حتى قيام الساعة نقرأ قول الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

(٣) أي: من كلام ابن الفارض، والمؤمن الحق ليس في حاجة إلى شهادة عالم يشهد على مثل ابن الفارض بالكفر، فكثير من شعر الصوفية وكتبهم يدعو إلى الوثنية المجرمة، ويشهد عليهم أنهم فئة تشاق الله ورسوله وتدعو أصحاب القبور! وبهذه الشهادة التي لا يمكن الطعن فيها، نحكم عليهم بما حكم الله به على إبليس وفرعون، وعباد العجل والأوثان، والمجرمين من قوم لوط.

منعهم اختلاف الأغراض، كما منع ذلك في الباجريقي، وكما ترى الآن من هذا التجاذب، على أن القتل أيضاً لا يفيد قطع التَّعَنُّت من المتعنتين، فقد أجمع أهل زمان الحلاج الذي هو رأس هذه الطائفة الاتحادية[1] بعد فرعون، وهم أتباع طريقته على قتله على الزندقة، كما نقله القاضي عياض في آخر كتابه الشفاء الذي هو من أشهر الكتب الدّينية. ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري رأس الصوفية في زمانه في الرسالة عن أحد [مشايخهم] عمرو[2] بن عثمان المكي تكفيره للحلاج وذلك في باب (حفظ قلوب المشايخ[3]) وقُتِل بسيف

---

(١) هو حلولي وليس اتحادياً.

(٢) توفي سنة ٢٩١هـ.

(٣) نص ما ذكره القشيري (ومن المشهور أن عمرو بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور الحلاج يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن، فدعا عليه، وهجره. قال الشيوخ: = = إن ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه) ولعلّ القشيري لم يذكر هذا انتقاصاً من الحلاج، وإنما ذكره تأييدا لما يهدف إليه الصوفية، وهو استعباد قلوب أتباعهم لأهوائهم، ألا تراه يقرر أن الحلاج لم يحل به القتل إلا من دعاء شيخه عليه، لا لأنه كان يعارض القرآن، فغضب الله عليه! وألا تراه يرويه في باب (حفظ قلوب المشايخ)؟ ولذا يقول في رسالته: (من رضي عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته، لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه، ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له، فإنهم مجبولون على الكرم، فإذا مات ذلك الشيخ، فحينئذ يجد المكافأة بعده) ويقول: (من خالف شيخه لم يبق على طريقته، ومن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة! على أن الشيوخ قالوا: حقوق الأستاذين لا توبة عنها) انظر ص١٥٠، ١٥١ من الرسالة للقشيري في باب حفظ قلوب المشايخ. ولكن أرأيت إلى الأستاذ القشيري كيف يقرر وجوب التوبة حتى على من همس في قلبه اعتراض على شيخه، بل يقرر أن التوبة من هذا لا تقبل! ولذا يقول الشعراني: (من أشرك بشيخه شيخا آخر فكأنما أشرك بالله) أيريد الصوفية سلفاً وخلفاً أن يكون الناس عبيد أهوائهم ونزواتهم، ويخوفونهم بغضب العبيد، لا غضب رب العالمين، ويشرعون لهم أن الغاية من الإيمان إرضاء هوى الشيوخ، لا إرضاء مالك الملك سبحانه!

الشرع، وأنت تجد الآن هذه الطائفة وأتباعهم من العامة، يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً وينابذون أهل الشريعة، وذلك يدل على أنهم إنما يقولون: تُؤَول تَقِيَّةً وخوفاً من السيوف المحمدية، وأنهم يعتقدون الكلام على ظاهره، فاستوى حينئذ القتل على الزندقة وعدمه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

نصيحة

ولا تهتموا أيها الأخوان بكثرة كلام أتباع الشيطان، وهجائهم لنا بالإثم والعدوان، فهم: إنما يقولون ذلك في الغيبة، ولهم عليه الإثم والخيبة، فإن الله تعالى قد ضمن النصرة وإن كان مع المبطل الكثرة. روى الشيخان عن معاوية ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون، وحتى يقاتل بقيتهم الدجال » وفي رواية: « وهم بالشام » ، وقال [تعالى]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [الصف: ١٠، ١١] إلى أن قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٢- ١٤].

وقد قلت في حالنا وحالهم.

نصرنـــا ســـنة المختـــار حقـــا فهاجينـــا لـــذلكم الأكـــافر

وراموا نصر شاعرهم، فخابوا وضُلِّلَ سعيُهم في نصر شاعر

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٨]، ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢]، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٨٢].

قال مُنْشِؤها سيدنا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي نفع الله المسلمين بعلومه: إني فرغت [من] هذه الرسالة في مقدار يوم، وكان فراغي منها ليلة الأحد ثامن عشرين شهر رجب الفرد الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة في مسجد (دلر رجمه العبد[1])بالقاهرة والحمد الله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) كذا بالأصل.

وفرغ من كتابتها الفقير إلى رحمة ربه، سليمان بن عبد الرحيم في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة للهجرة النبوية.

* * *

[زاد الناسخ، أو غيره بعد هذا]:

وممن يقول بكفر ابن عربي غير مصنف هذه الرسالة أيضا من العلماء الشيخ إبراهيم بن داود الآمدي[1] والشيخ أبو بكر بن قاسم الكناني[2]، والشيخ الفاضل سليمان بن يوسف الياسوفي[3] الدمشقي، والإمام الجليل علي بن عبد الله الأردبيلي[4]، والعلامة محمد بن خليل عز الدين الحاضري الحلبي الحنفي الفاضل محمد بن علي الدكالي[5] ثم المصري، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصاري [6] الشافعي قاضي حلب، وكلهم ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعي عن شيخه شهاب الدين أحمد بن حجر في تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلهم وحذقهم، وعلمهم وزهدهم وورعهم، وإنما أردت ذكر أسمائهم، ليعلم أن من قال بكفر هذا الضال جماعة من العلماء [كثيرون] ليحذر من مذهبه من لا يعرفه تحقيقا، ويعلم أن [كل هؤلاء] العلماء لا يتفقون على ضلالة، وهؤلاء

---

(١) أسلم على يد ابن تيمية، وكان دِّيناً خيِّراً فاضلا. توفي سنة ٧٩٧هـ.

(٢) ولد سنة ٦٦٦هـ قال عنه الذهبي: ديّن حسن المحاضرة.

(٣) ولد سنة ٧٣٩هـ تقريبا، كان شافعيا، ثم حبب إليه الحديث، فأقبل عليه بكليته، وسلك طريق الاجتهاد. توفي سنة ٧٨٩هـ معتقلا بقلعة دمشق.

(٤) ولد سنة ٦٦٧ قال عنه الذهبي: حصل جملة من كتب الحديث، وشغل في فنون وهو عالم كبير حسن الصيانة. مات بالقاهرة سنة ٧٤٦هـ.

(٥) هو أبو أمامة ابن النقاش. وقد سبقت ترجمته.

(٦) ولد سنة ٧٤٨هـ، ولي قضاء حلب عن الظاهر برقوق. وتوفي سنة ٨٠٣هـ

من المتأخرين دون من لم يذكرهم من المتقدمين، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام، وصاحب المواقف وغيرهما، وكذلك الشيخ الجليل [شيخ الصوفية] علامة زمانه الشيخ علاء الدين البخاري، وقد عمل في الرد على [قول] ابن عربي وبيان كفره رسالة شافعية مُسَمَّاة: (بفاضحة الملحدين، وناصحة الموحدين)، ومن أراد البحث والرد على هذه الطائفة، فليطالعها، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين). انتهى.

فرغت من نسخها وتحقيقها والتعليق عليها يوم الخميس ٤ من صفر سنة ١٣٧٢هـ الموافق ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٢م بمدينة القاهرة والحمد لله أولا وآخرا.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

* * *

وكان الفراغ من الطبع والتصحيح بمطبعة السنة المحمدية يوم الخميس ١٨ من رجب سنة ١٣٧٢هـ الموافق ٢ من إبريل سنة ١٩٥٣م.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله المصطفى، ورسوله المجتبى: محمد، وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته أجمعين.

موضوعات الكتــاب

الموضوع	رقم الصفحة
من مقدمة المحقق	١
البقاعي في سطور	١٠
خطبة الكتاب	١١
عقيدة ابن عربي	١١
مثالهم في المكـر	١٢
الاحتجاج بقصة الخضر	١٣
كذب ابن عربي على الرسول ﷺ	١٤
دفع هذا الافتراء	١٥
اعتقاد ابن عربي في أسماء الله الحسنى	١٥
آدم عند ابن عربي	١٦
بم يعرّف الله عند ابن عربي	١٦
رأي ابن عربي في نوح وقومه	١٧
الدعوة إلى الله مكر عند ابن عربي	١٩
تكفير الحافظ العراقي لابن عربي	٢٠
كل شيء رب وإله عند ابن عربي	٢١
الرأي في ابن الفارض وتائيته	٢٢
ابن عربي يمجّد عباد الأصنام	٢٤

الموضـــــوع	رقم الصفحة
عين الخلق عند ابن عربي	٢٧
الوحدة المطلقة دين ابن عربي	٣٠
لا يُعتذر عن المبتدعة بالتأويل	٣٠
خطل وخطر صرف الكلام عن ظاهره	٣١
صلة الخلق بالخالق عند ابن عربي	٣٢
الطبيعة هي الله عند ابن عربي	٣٢
الاتحاد دين ابن الفارض	٣٣
العبد عين الرب عند ابن عربي	٣٤
النار عين الجنة ابن عربي	٣٥
مثل من تفسير ابن عربي للقرآن	٣٦
وجود الخالق عين وجود الخلق عند ابن عربي	٣٧
ردّ علاء الدين البخاري	٣٨
زعم أن الربّ يتلبس بصورة الخلق	٣٨
إفك على القرآن	٤١
إفك على الحديث	٤٢
المجرمون عند ابن عربي على صراط مستقيم	٤٣
هوية الله عند ابن عربي عين أعضاء العبد وقواه	٤٤
تفسير ابن عربي عذاب قوم هود	٤٤

الموضـــوع	رقم الصفحة
تسويغ ابن عربي القول بوحدة الأديان؟	٤٥
الوحدة عند ابن الفارض	٤٦
الكثرة عين الوحدة في فكر ابن عربي	٤٦
العبد عين الرب عند ابن عربي	٤٧
زعم ابن عربي: أن التفاضل لا يستلزم التغاير	48
الكافر مؤمن عند ابن عربي	٤٩
لن يعذب كافر عند ابن عربي	٤٩
تمجيد ابن عربي لعبادة العجل	٥٠
بعض ما كفر به العراقي ابن عربي	٥٠
شرك ابن عربي أخبث الشرك	٥١
الهوى هو رب ابن عربي	٥١
حكم ابن عربي بإيمان فرعون ونجاته	٥٣
رد هذه الفرية	53
إله ابن عربي بين التقييد والإطلاق	٥٤
المكفرون لابن عربي	٥٥
فتوى ابن الجزري والجعبري والكتّاني	٥٨
رأي أبي حيان	٥٩
رأي التقي السبكي والفارسي والزواوي	٦٠

الموضوع	رقم الصفحة
رأي البكري	٦١
فتوى البالسي وابن النقاش	٦٢
رأي ابن هشام وابن خلدون	٦٤
رأي الشمس العيزري	٦٥
رأي ابن الخطيب والموصلي	٦٧
رأي ابن حجر والبلقيني وغيرهما	٦٨
رأي الفاسي والورغمي والجزري والأهدل	٦٨
من مكر الصوفية	٦٩
من آيات ثبات الإيمان في القلب	71

الموضوع	رقم الصفحة
آيات تسلّى الله بها نبيه	٧٤
منابذة الصوفية للعقل والشرع	٧٦
موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض	٧٦
موقف شيوخ المذهب من ابن الفارض	٧٨
تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر	٧٩
ابن الفارض يرمز لله بالتأنيث	٨٠
تفضيل الزنديق نفسه على الرسل	٨٠
الخلاعة سنة ابن الفارض	٨١
ذمه للرسل وللشرائع	٨٣
تفضيله أتباعه على الرسل، وزندقته على شرعة الله	٨٤
ادعاؤه الربوبية	٨٦
زعمه أن صفات الله عين صفاته	٨٧
زعمه أن الله سبحانه يصلي له	٨٨
ابن الفارض يجعل المعشوقة ربّاً	٨٩
ثباته على اعتقاد الوحدة	٩١
استدلاله على زندقته	٩٢
يدين ابن الفارض بتلبس الله بصورة خلقه	٩٣
رأي القشيري والسهروردي	٩٦

الموضوع	رقم الصفحة
وحدة الأديان عند ابن الفارض	٩٧
ابن الفارض يصوّب جميع الأديان الباطلة	٩٨
معاندته للتوحيد الحق	٩٩
دعوته إلى اللهو	١٠٠
ابن عربي يدّعي أن الباطل إله	١٠١
حكم المناضل عن ابن عربي	١٠٢
قول ابن الفارض يوجب إراقة دمه	١٠٢
ابن الفارض يزجر عن تكنيته أو تلقيبه بدعوى اتحاده بالله	١٠٤
زعمه أنه عرج إلى السماء	١٠٥
حكم من كفر ابن الفارض	١٠٧
حكم المتوقف في تكفير الملحدين	١١٠
الرأي في شعر ابن الفارض	١١١
تواتر الخبر بتكفير العلماء لابن الفارض	١١٣
لا عبرة بكلام حفيده	١١٤
أصل الولاية الحقة	١١٥
دفاع وادعاء	١١٦
وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها	١١٩
الجاهلية في التصوف الإلحادي	١٢٠

الموضوع	رقم الصفحة
دفع اعتراض واه	١٢١
نصيحة البقاعي	١٢٤